سلسلة التنشئة المسيحيّة

١٤



الإنجيل
فرح في الرجاء وثبات في الضيق
(روما ١٢/١٢)

زمن الصليب

٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧

بشاره الراعي
مطران جبيل

منشورات
جامعة سيدة اللويزة
NDU PRESS

الإنجيل

فرح في الرجاء وثبات في الضيق

الإنجيل
فرح في الرجاء وثبات في الضيق
زمن الصليب،

تأليف المطران بشاره الرّاعي

منشورات جامعة سيّدة اللويزة ©

ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل - لبنان

تلفون: ٠٩/٢١٨٩٥٠/١

فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١

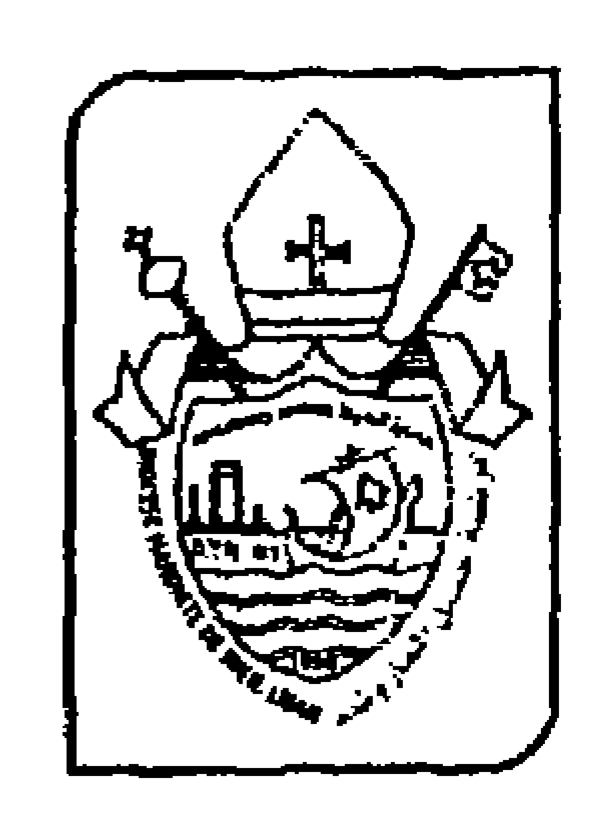
www.ndu.edu.lb

الطّبعة الأولى ٢٠٠٧

القياس ١٤,٥ × ٢١,٥ سم

تنفيذ مطابع معوشي وزكريّا

ISBN 978-9953-457-17-8



سلسلة التنشئة المسيحيّة

١٤

الإنجيل
فرح في الرجاء وثبات في الضيق
(روما ١٢/١٢)

زمن الصليب
٢٠٠٦ ✣ ٢٠٠٧

بشاره الراعي
مطران جبيل

منشورات
جامعة سيّدة اللويزة
NDU PRESS

المحتوى

تقديم

العدد الرابع عشر من سلسلة التنشئة المسيحيّة الخاصّ بزمن الصليب، والذي يعكس مسيرة الكنيسة والشعوب نحو العالم الآتي ونهاية التاريخ، يكشف لنا أنّ الانجيل "**فرح في الرجاء وثبات في الضيق**" (روم ١٢/١٢).

يتوزّع نهجه في كلّ أحد على ثلاثة أقسام: **الأوّل**، شرح نصّ الانجيل؛ **الثاني**، مواضيع حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة، مأخوذة من "معجم التعابير الملتبسة"؛ **الثالث**، الخطّة الراعويّة لتقبّل النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين: "الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة".

في هذا الزمن الصعب، سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، حيث كثيرون صمدوا وآخرون انحرفوا وغيرهم انكفأوا، يأتي كلام الربّ في الانجيل ليزرع "**الفرح في الرجاء**"، ويشدّد "**الثبات في الضيق**". "فالعالم يدور وينطوي والصليب ثابت"، و"الكنيسة تسير بين اضطهادات العالم وتعزيات الله" (القدّيس أغسطينوس).

نأمل أن يسهم هذا العدد من سلسلة التنشئة المسيحيّة في العمل على أن يكسب بواسطته كلّ إنسان "**الفرح في الرجاء والثبات في الضيق**" (روم ١٢/١٢)، ويشهد لعمل الخلاص الجاري في العالم بمحبّة الآب ونعمة الابن وفعل الروح القدس وخدمة الكنيسة.

† بشاره الراعي
مطران جبيل

الأحد الأوّل من زمن الصليب

أخلاقيّة المسؤوليّة في ضوء الصليب

من إنجيل القدّيس مرقس ١٠/٣٥-٤٥

قال مرقس البشير: دنا من يسوع يعقوب ويوحنّا، ابنا زبدى، وقالا له: «يا معلّم نريد أن تصنع لنا كلّ ما نسألك». فقال لهما: «ماذا تريدان أن أصنع لكما؟». قالا له: «أعطنا أن نجلس في مجدك، واحد عن يمينك وواحد عن يسارك؟» فقال لهما يسوع: «إنّكما لا تعلمان ما تطلبان: هل تستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا؟ أو أن تتعمّدا بالمعموديّة التي أتعمد بها أنا؟». قالا له: «نستطيع». فقال لهما يسوع: «الكأس التي أنا أشربها ستشرَبانها، والمعموديّة التي أنا أتعمّد بها ستتعمّدان بها. أمّا الجلوس عن يميني أو عن يساري، فليس لي أن أمنحه إلاّ للذين أُعِدّ لهم». ولمّا سمع العشرة الآخرون، بدأوا يغتاظون من يعقوب ويوحنّا. فدعاهم يسوع إليه وقال لهم: «تعلمون أنّ الذين يعتبرون رؤساء الأمم يسودونهم، وعظماءهم يتسلّطون عليهم. أمّا أنتم فليس الأمر بينكم هكذا؛ بل من أراد أن يكون فيكم عظيمًا، فليكن لكم خادمًا. ومن أراد أن يكون الأوّل بينكم، فليكن عبدًا للجميع؛ لأنّ ابن الانسان أيضًا لم يأتِ ليُخدم، بل ليَخدم، ويبذلَ نفسه فداءً عن كثيرين».

***

نحن في بداية زمن الصليب، وهو الأخير من السنة الطقسيّة. يتميّز بزمن **الجهاد** في سبيل توطيد ملكوت الله على الأرض، بحيث يدخل كلّ إنسان

في شركة عاموديّة مع الله بروح القداسة، وفي شركة أفقيّة مع جميع الناس بروح المحبّة والعدالة والتضامن. ويتميّز **بزمن التطلّع** إلى اكتمال الملكوت أو هذه الشركة المزدوجة، في نهاية الأزمنة، بالسهر والصبر ورجاء الانتظار.

إنجيل اليوم يشكّل زمن الجهاد، أمّا أناجيل الآحاد الأخرى فتشكّل زمن التطلّع.

■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

١. إطار الحدث

الرسولان الأخوان يعقوب ويوحنّا، إبنا سالومه شقيقة مريم أمّ يسوع، يطلبان "الجلوس عن يمين الربّ ويساره في مجده".

جاء الطلب بعد أن أنهى يسوع نبوءته للمرّة الثالثة عن آلامه وموته وقيامته (مر ١٠/٣٢-٣٤). وبسبق نبوءته سؤال- طلب، وجّهه بطرس إلى يسوع: "ها نحن قد تركنا كلّ شيء وتبعناك، فما عساه يكون لنا؟" (مر ١٠/٢٨؛ متّى ١٩/٢٧)..

علم يسوع ما يجول في مخيّلة الرسل، فهم يعقدون الآمال الجسام على أنّ يسوع سيعيد مجد إسرائيل وينشئ مملكة زمنيّة يشيع فيها الغنى والرفاهيّة. فأراد يسوع أن يوضح لهم الغاية من صعوده إلى أورشليم، فينقلهم من جوّ الأمل والخيال إلى جوّ الواقع والحقيقة. قال: "ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وسيتمّ كلّ ما كُتب بالأنبياء عن ابن البشر، فأنّه سيُسلّم إلى الأمم، ويُهزأ به ويُشتم ويُبصق عليه، وبعد أن يجلدوه يقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم" (مر ١٠/٣٣-٣٤). يبدو أنّ المقطع الأخير من كلامه استقرّ في مخيّلتهم، وهو انتصاره على الموت وقيامته في اليوم الثالث، فاستنتجوا أنّ

من ينتصر على الموت لن يقوى عليه عدوّ، مهما بلغ من القوّة. وتأكّد لهم أنّ يسوع سيرتقي عرش المُلك الموعود، وتسابقوا إلى احتلال المراكز الأولى في ذلك المُلك الزمنيّ. فكان أن راودت فكرة الحظوة بأرفع المراتب ابني زبدى (نصري سلهب: في خطى المسيح، ص ٢٦٨-٢٦٩). وبفضل الدالّة على يسوع بداعي النسب، وهما ابنا خالته، طلبا إليه: "أعطنا أن نجلس في مجدك، واحد عن يمينك، وواحد عن يسارك" (مر ١٠/ ٣٧).

هذا مطلب بشريّ، يصدر عفويًّا عن كلّ إنسان، لأنّه طموح من طبعه. يريد المكان الأوّل دونما تفكير بما ينطوي عليه من مسؤوليّة وتضحيات، وقلّما يفكّر بأنّه بذل وعطاء في سبيل الخير العامّ على حساب الفائدة الشخصيّة. ولهذا ترى الناس يتسابقون بشتّى الوسائل إلى احتلال المراكز الأولى، بل يتقاتلون بسببها ويتعادون. فالانسان مفطور في أصله على "الأنا"، بينما المادّة الأولى من دستور الحياة، في إنجيل التطويبات، تدعو إلى فضيلة التجرّد وإفراغ الذات: "طوبى للفقراء بالروح، فإنّ لهم ملكوت السموات" (متّى ٥/٣). هؤلاء المتجرّدون من ذواتهم وأنانيّتهم يدخلون في شركة القداسة مع الله، وفي شركة الخدمة والمحبّة والتضامن مع الناس. هذه الفضيلة عاشها يسوع، ويدعونا بولس الرسول أن نتخلّق بأخلاقيّتها: "تخلّقوا بخلق المسيح يسوع. فهو مع كونه في صورة الله، لم يحسب مساواته لله غنيمة، بل أخلى ذاته متّخذًا صورة العبد، صائرًا في شبه البشر. واضع نفسه، وأطاع حتّى الموت، الموت على الصليب. فرفعه الله جدًّا..." (فيل ٢/٥-٩).

٢. مجد المسيح والجلوس عن يمينه ويساره

أوضح يسوع طلب يعقوب ويوحنّا، بحيث ولج به إلى عمق جوهر

"**مجده**". ليست المملكة الزمنيّة عرش مجده، بل صليبه. على عرش الصليب ظهر مجد الله ومجد المسيح. إنّه "**مجد**" **إرادة الآب** بخلاص البشر أجمعين، باذلاً ابنه الوحيد لكي لا يهلك أحد من أبناء البشر، و"**مجد**" **محبّة الابن** الذي أطاع حتّى الموت و"أحبّ حتّى النهاية" (يو ١٣/ ١). أنبأ يسوع عن هذا المجد يوم الشعانين، خمسة أيّام قبل حدوثه: "نفسي الآن قلقة، فماذا أقول؟ يا أبتِ، نجّني من هذه الساعة؟ ولكن من أجل هذا بلغت إلى هذه الساعة! يا أبتِ، مجِّد اسمك. فجاء صوت من السماء يقول: "قد مَجّدتُ، وسأمجِّدُ" (يو ١٢/٢٧-٢٩).

لقد دعاهما للجلوس عن يمين صليبه ويساره، أي للمشاركة في سرّ آلامه وموته تمجيدًا لله ولهم على مثاله. فسمّى هذه المشاركة كأس الألم وصبغة معموديّة الدم: "هل تستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا؟ أو أن تصطبغا بالمعموديّة التي أتعمّد بها أنا؟". فكانت كلمته بمثابة دعوة جديدة لأتباعه، فلبّيا الدعوة مجيبين: "نستطيع". وتذكّرا دعوته الأولى وهما في السفينة يصلحان الشباك، فتركا أباهما زبدى في السفينة مع الأجراء، وتبعاه" (مر ١/١٩-٢٠).

السلطة والمسؤوليّة، في ممارستها كفن شريف لخدمة الخير العامّ، إنّما تندرج في الدعوة إلى تمجيد الله بإتمام إرادته التي تشاء أن يعرف كلّ إنسان الحقيقة وينال الخلاص، وبالتالي إلى نيل المجد من خلال طاعة الله ومحبّته في ممارسة السلطة.

هؤلاء الذين يشاركون المسيح في عمل "التمجيد" يعدّ لهم الجلوس عن يمينه ويساره: "أمّا الجلوس عن يميني أو يساري، فليس لي أن أمنحه إلاّ للّذين أعدّ لهم" (مر ١٠/ ٤٠).

٣. السلطة خدمة

اغتاظ الرسل العشرة الباقون من طلب يعقوب ويوحنّا حسدًا، إذ كلّ واحد منهم يتمنّى أن يكون صاحب الحظّ الأوفر. وربّما "فرحوا" لجواب يسوع وكأنّه "بخعة" للتلميذين. وهذا دليل أنّهم هم أيضًا لم يفهموا "مجد يسوع"، وكلّهم يصبون إلى الاستفادة منه بمراكز ومراتب. فكان أن حدّثهم الربّ عن مفهوم السلطة التي سيسندها إليهم، وهي تختلف مضمونًا وممارسة عن السلطة السياسيّة.

السلطة السياسيّة سيادة على الناس وتسلّط على الأمم. أمّا السلطة الحقيقيّة المستمدّة من نهج المسيح فهي: "من أراد أن يكون فيكم عظيمًا، فليكن لكم خادمًا. ومن أراد أن يكون الأوّل بينكم، فليكن عبدًا للجميع" (مر ١٠/ ٤٢-٤٤).

ثمّ يوضح يسوع أنّه القدوة لكلّ صاحب سلطة ومسؤوليّة في البذل والتفاني من أجل خير جميع الناس: "ابن الانسان لم ياتِ ليُخدم بل ليَخدم، ويبذل نفسه فداءً عن كثيرين (مر ١٠/٤٥).

أدرك التلاميذ هذه الحقيقة، وانطلقوا مع يسوع إلى عمقها. ولمّا ملأهم الروح القدس وأرسلهم لمواصلة عمل الفداء، تفانوا في الخدمة والمحبّة حتّى الاستشهاد. فتكلّلوا جميعهم بإكليل الشهادة، وتمّ لهم وعد يسوع في جوابه لسؤال بطرس: "الحقّ أقول لكم: أنتم الذين تبعتموني، متى جلس ابن الانسان على عرش مجده، في زمن التجديد، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر عرشًا، لتدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر" (متّى ١٩/ ٢٨). إنّ السلطة دعوة أيضًا للقداسة، تقدّس بها عدد من الملوك والرؤساء المدنيّون.

■ **ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة**

من المواضيع المطروحة في "**معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة**"، نختار موضوع "**دولة الرفاهيّة**" (Welfare State) أو "الدولة-العناية" (Etat-Providence). وهو موضوع أشدّ ما نحتاج إليه في الزمن الراهن من حياة لبنان على المستوى الوطنيّ، وفي زمن الصليب على المستوى اللاهوتيّ. كاتب هذا المقال هو José T. Raga.

وطنيًّا، نحن في مرحلة جديدة حاسمة، تقتضي قيام دولة راعية مسؤولة، تعمل من خلال مؤسّساتها الدستوريّة. **ولاهوتيًّا**، زمن الصليب، الذي هو مسيرة حجّ نحو مجيء الربّ النهائيّ، يقتضي منّا بناء مجتمع ووطن يليقان بالخالق وبعمل الفداء، وبالتالي بالانسان ليعيش بكرامة، ويحقّق ذاته، ويشارك بمسؤوليّة واعية في صنع التاريخ.

"**دولة الرفاهيّة**" تعبير ملتبس، لأنّ **الواقع** يجعل منها "رفاهيّة" للنافذين ولضابطي زمام السلطة السياسيّة والعامّة، حيث **قلّة** تعيش في تخمة من البحبوحة، وتسخّر قدرات الدولة للمصالح الشخصيّة والفئويّة، وتهدر المال العامّ دونما رقيب أو حسيب، **وكثرة** تعاني من الفقر والحرمان. أمّا **الفظّة** فتعني بحدّ ذاتها أنّ مثل هذه الدولة تستعمل سلطتها لتعديل لعبة قوى السوق في ثلاثة مجالات:

المجال الأوّل، تضمن للأفراد والعائلات مدخولاً يسمح لهم بحياة ملائمة بمعزل عن الأجر الذي يحدّده السوق لعملهم، وعن الثمن الذي يحدّده لسلعهم.

المجال الثاني، تؤمّن للآخر ضمانًا ضدّ المخاطر المتصلة بحياتهم المهنيّة الشخصيّة، بحيث تحدّ من عدم الاستقرار الذي قد يتسبّب، في

داخل العائلات ولدى الأفراد، بأزمات وانحطاطات اقتصاديّة ونفسيّة. على الدولة أن تؤمّن نفقة معيشيّة للمرضى والعاطلين عن العمل والمسنّين والمعوَّقين والأرامل واليتامى.

المجال الثالث، تضمن لجميع المواطنين، أيًّا كانت أوضاعهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة، استفادة حرّة من الخدمات الضروريّة لحياة منسجمة داخل المجتمع وسط جماعة تنعم بالنموّ.

إنّ ما يبرّر وجود "الدولة العناية" أن تعمل على إصلاح نواقص اقتصاد السوق، وإدارة الثروات العامّة، والبلوغ إلى خير الأمّة ومواطنيها، والاعتراف بحقوق العمال، وتوفير مساعدات، وإذكاء المحبّة الاجتماعيّة، وأن يكون لها سياسة اجتماعيّة شاملة تموّلها السياسة الضريبيّة، وأن تضمن النموّ الاقتصاديّ والاستقرار وتوزيع الثروات.

كم نتمنّى لو أنّ السياسيين الذين يتنافسون على الوظائف الدستوريّة العامّة، أن يكشفوا للمواطنين عن برامجهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة والضريبيّة، بدلاً من الاتهامات المتبادلة على مستواهم الشخصيّ.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

نختتم مع زمن الصليب السنة الطقسيّة والسنة الأولى من تقبّل نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، بحسب الخطّة الخمسيّة التي وضعتها لجنة المتابعة. فنعرض **النصّ ٢١: الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**. كانت نصوص السنة الأولى: ١ و٢ و٣ و٤ و١٩ و٢٠ و٢١.

١. يذكّر النصّ المجمعيّ في المقدّمة **بالأساس اللاهوتيّ للحياة الاقتصاديّة**، وهو أنّ الله منح الأرض وخيراتها ليؤمّن منها الانسان قوته

وحاجاته الماديّة. فنظّمت الكنيسة حياة الانسان الاقتصاديّة والماديّة وفقًا لإرادة الله، وحرّمت بالتالي عمليّات الربا واستغلال القويّ للضعيف، وكلّ أنواع الكسب غير المشروع الآتي من غير تعب الانسان وعمله الانتاجيّ (فقرة ١). واعتبرت، مع الفيلسوف القدّيس توما الأكويني، أنّه، إنطلاقًا من مفهوم الخير العامّ، يحقّ للانسان أن يتمتّع تمتّعًا شرعيًّا بالخيرات المشتركة بين البشر ولا يحقّ لأحد قهره وحرمانه منها. وبينما تدافع الكنيسة عن المبادرة الفرديّة والملكيّة الخاصّة، فإنّها تُخضع الأعمال الاقتصاديّة لمبدأ الخير العامّ، وتدعو إلى أن تكون التنمية الاقتصاديّة والتقدّم التقنيّ في خدمة الانسان والمجتمع، لا وسيلة في أيدي بعض الناس لاستغلال الآخرين (فقرة ٢).

٢. ويبيّن النصّ المجمعيّ في الفصل الأوّل **اهتمام الكنيسة البالغ بالشأن الاقتصاديّ-الاجتماعيّ** على مدى قرون عديدة من خلال مؤسّساتها وأديارها ومراكزها وتعاونيّاتها. وإلى جانب نشاطاتها المتنوّعة في هذا الحقل، كان لها منذ القرن التاسع عشر تعليم بابويّ واسع في هذا الشأن. يستعرض النصّ المجمعيّ في الفقرات ٣-٥ عناوين من الرسائل البابويّة العامّة: **الشؤون الحديثة** للبابا لاوون الثالث عشر (١٨٩١)، **والسنة الأربعون** للبابا بيّوس الحادي عشر (١٩٣١)، **وأمّ ومعلّمة** للبابا يوحنّا الثالث والعشرين (١٩٦١)، **وترقّي الشعوب** للبابا بولس السادس (١٩٦٧)، وصولاً إلى البابا يوحنّا بولس الثاني الذي أصدر ثلاث رسائل عامّة: **العمل البشريّ** (١٩٨١) **والاهتمام بالشأن الاجتماعيّ** (١٩٨٧) **والسنة المئة** (١٩٩١) التي جدّدت النظر في القضايا المطروحة في رسالة "الشؤون الحديثة".

٣. تقتضي الخطّة الراعويّة من الجماعات المنظّمة في الرعيّة والأديار

والمجتمع تقبّل ما جاء في هذه الفقرات من أفكار، واتّخاذ مبادرات عمليّة محليّة لتطبيقها.

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، بالمعموديّة أشركتنا في آلامك وموتك وقيامتك. ساعدنا لنعيش فعليًّا، في حياتنا اليوميّة، هذه المشاركة، في سبيل إنسان أرقى ومجتمع أفضل. أعطنا الإدراك بأنّ العائلة والمجتمع والوطن إنّما ينهضون بتضحيات أعضائهم وتفانيهم في سبيل الخير العامّ، الذي منه خير كلّ إنسان وكلّ الانسان. لك المجد والتسبيح ولأبيك المبارك وروحك القدوس الآن وإلى الأبد. آمين.

الأحد الثاني من زمن الصليب

بين اضطهادات العالم وتعزيات الله

من إنجيل القدّيس متّى ٢٤/ ١-١٤

قال متّى الرسول: خرج يسوع من الهيكل ومضى. فدنا منه تلاميذه يلفتون نظره إلى أبنية الهيكل. فأجاب وقال لهم: «ألا تنظرون هذا كلّه؟ الحقّ أقول لكم: لن يُترك هنا حجرٌ إلاّ وينقض». وفيما هو جالس على جبل الزيتون، دنا منه التلاميذ على انفراد قائلين: «قل لنا متى يكون هذا، وما هي علامة مجيئك ونهاية العالم؟». فأجاب يسوع وقال لهم: «إحذروا أن يضلّكم أحد! فكثيرون سيأتون باسمي قائلين: «أنا هو المسيح! ويضلّون الكثيرين. وسوف تسمعون بحروب وبأخبار حروب، انتظروا، لاترتعبوا! فلا بدّ أن يحدث هذا. ولكن ليست النهاية بعد! ستقوم أمّة على أمّة، ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وزلازل في أماكن شتّى، وهذا كلّه أوّل المخاض. حينئذ يسلّمونكم إلى الضيق، ويقتلونكم، ويبغضكم جميع الأمم من أجل اسمي. وحينئذ يرتدّ الكثيرون عن الايمان، ويسلّم بعضهم بعضًا، ويبغض بعضهم بعضًا. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلّون الكثيرين. ولكثرة الإثم تفتر محبّة الكثيرين. ومن يصبر إلى النهاية يخلص. ويكرز بإنجيل الملكوت هذا في المسكونة كلّها شهادة لجميع الأمم، وحينئذ تأتي النهاية».

***

زمن الصليب هو المحطّة الأخيرة من السنة الطقسيّة، التي تدور فيها الكنيسة حول سرّ المسيح، كما تدور الأرض حول الشمس. تدور حول

المسيح المتجلّي في المجد، وحول مجيئه الثاني في نهاية الأزمنة، ديّاناً لجميع الناس، للخلاص الأبديّ أو الهلاك، للحياة السعيدة في مجد السماء أو للموت النهائيّ في آلام الجحيم. إنّه زمن النهايات المعروف بالاسكاتولوجيا eschatologia، الذي يتمّ فيه مجيء المسيح الثاني بالمجد ويسمّى باروزيا (parusia). لكنّه في الوقت عينه زمن الكنيسة التي تعبر بدورها فصح المسيح، مختبرة الصلب والقيامة، و"سائرة بين اضطهادات العالم وتعزيات الله" (القدّيس أغسطينوس). القدّيسة الشهيدة تقلا انعكاس ساطع لوجه الكنيسة هذا.

■ أوّلاً، شرح النصّ الانجيليّ

١. المجيء والنهاية وامتحان الكنيسة

عندما تنبّأ يسوع عن خراب هيكل أورشليم قائلاً: "لا يترك هنا حجر على حجر إلاّ ويُهدم"، ظنّ التلاميذ أنّه يتكلّم عن نهاية العالم. فسألوه "قل لنا متى تكون هذه، وما هي علامة مجيئك وانتهاء العالم" (متّى ٢٤/٣). فخراب الهيكل عندهم نهاية كلّ شيء.

المجيء- parusia يعني مجيء المسيح بوصفه ديّاناً، أو مجيئه الثاني؛ إنّه مجيء الله المنتظر. **نهاية العالم- eschatologia** مرتبطة بمجيء المسيح، وتعني آخر تدخّل لله في التاريخ. وقد كان تدخّله الأوّل عندما ظهر على الأرض بشخص يسوع، عمّانوئيل الذي المترجم "الله معنا".

سألوه عن علامات مجيئة ونهاية العالم. فأعطى علامات، لكنّه أكّد أنّها لا تسبق مباشرة نهاية العالم، **فذكّر الانسان بأنّه في رحلة نحو عالم جديد،** لأنّ ليس له هنا مدينة ثابتة. علامات الفتن والحروب والزلازل والمجاعات لا تدعو إلى الاضطراب، فهي تشبه آلام المخاض، التي تمرّ بها الأمّ قبل ولادة

طفلها: "**هذا كلّه أوّل المخاض**" (متّى ٢٤/٨). هذه العلامات تبشّر بولادة جديدة. إنّها تنعكس على حياتنا اليوم التي تقتضي منّا تجدّدًا في النظرة والمسلك، في العمل والمسؤوليّة. ينبغي أن تبلغ بنا المعاناة والمحن إلى ولادة مواطن جديد، ومسؤول جديد، ووطن جديد.

أليس تاريخنا في لبنان يشهد أنّ أبناءه لم يبخلوا بأرواحهم في سبيل وطنهم! ولنا أمل وطيد بأنّ التضحيات الكبيرة التي بذلها الشهداء وأهلهم وعائلاتهم ستثمر في النهاية وئامًا وسلامًا يشدّ اللبنانيين بعضهم إلى بعض، وتوحّد صفوفهم، لينهضوا بهذا الوطن الذي لن يجدوا شبيهًا له في الأوطان؛ ومعلوم أنّ هذه لا تنمو وتزدهر إلاّ بقدر ما يبذله أبناؤها في سبيلها من تضحيات.

العلامات المذكورة أعلاه وسواها من الضيقات والقتل والبغض والخيانة والكذب والتضليل وانتفاء المحبّة إنّما تدعو إلى الصبر: "فمن يصبر إلى المنتهى يخلص" (متّى ٢٤/١٣). والصبر يعني الثبات والأمانة في الطريق الذي اختير، في ضوء دعوة الله ووعده.

قبل مجيء المسيح في نهاية الأزمنة، **تمرّ الكنيسة في امتحان كبير**، يزعزع إيمان الكثيرين من المؤمنين. هو امتحان المسيح الدجّال: "تيقّظوا، فلا يضلّكم أحد. كثيرون سيأتون باسمي ويقولون: أنا هو المسيح، ويضلّون الكثرين" (متّى ٢٤/٤- ٥). "**المسيح الدجّال**" هو عمليّة تدجيل، يدّعي فيها الشخص، الذي يجعل ذاته "مسيحًا"، أنّه صاحب حلول لقضايا البشر. إنّه يمجّد نفسه في مكان الله ومسيحه المتجسّد. إنّه مناهض للمسيح، لأنّ هذا الانسان، المسيح الدجّال، يدّعي أنّه يحقّق في التاريخ الوجه المسيحانيّ السياسيّ العلمانيّ. هكذا يفعل "سرّ الاثم" (٢ تسا ٢/٧) في التاريخ البشريّ

(التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٦٧٥-٦٧٦). لقد حذّر بولس الرسول من هذا التدجيل: "لا تتزعزعوا سريعًا بأفكاركم، ولا تندهشوا لكلّ كلمة وروح ورسالة. فانسان الإثم، ابن الهلاك، هو المتمرّد المتطاول على كلّ من يدعى إلهًا، يجلس في هيكل الله كإله، ويُظهر من نفسه أنّه إله" (٢ تسا ٢/٢ و٤). وحدّد يوحنّا الرسول "المسيح الدجّال" بأنّه إنسان "لا يعترف أنّ يسوع المسيح أتى في الجسد"، وبالتالي "لا يسلك في المحبة، بحسب وصيّته" (أنظر ٢ يو٥-٧)، ولا يتصرّف في ضوء الحقيقة (١ يو ٢/٢١)، بل، على ما يقول بولس الرسول: "لا يقبل محبّة الحقّ التي بها يحيا. ولذلك يبعث الله فيه عمل الضلال، حتى يصدّق الكذب" (أنظر ٢ تسا ٢/١٠-١١).

زمن الصليب هو **زمن الكنيسة التي تصبر على محنتها في مسيرتها نحو مجد الملكوت**. فعليها، مع أبنائها وبناتها، أن تعبر فصحها بحيث تتبع ربّها في موته وقيامته، فيما تنادي بإنجيل الملكوت في المسكونة كلّها، شهادة لكلّ الأمم، وحينئذٍ يكون الانتهاء (متّى ٢٤/١٤)، هذا يعني أنّ ملكوت الله، ملكوت القداسة والحقيقة والمحبّة والعدل، لن يتحقّق بانتصار تاريخيّ للكنيسة، بل بانتصار الله على ثورة الشر في الدينونة الأخيرة، بعد نهاية العالم (التعليم المسيحيّ، ٦٧٧).

٢. الكرازة بإنجيل الملكوت

في صلب امتحان الضيقات والاضطهادات يدعو المسيح "ليُكرز بإنجيل الملكوت في المسكونة كلّها، لجميع الأمم" (متّى ٢٤/١٤).

عيد ارتفاع الصليب يذكّرنا بهذه الدعوة. وزمن الصليب التزام بحمل قضيّة الانسان المتألّم والمعذّب. المسيحيّة تتنكّر لرسالتها، إذا لم تلتزم بخلاص البشريّة من عذاباتها. فالمسيح ارتضى الألم لكي يرفع الألم عن

الانسان. هذا هو فصح المسيح: أن يعبر كلّ إنسان من حالة موت إلى حالة حياة، من سقوط إلى قيامة، على المستوى الروحيّ والماديّ، الثقافيّ والسياسيّ، الاقتصاديّ والخلقيّ. هذه هي "الكرازة بإنجيل الملكوت" التي تنير العقل وتشحّذ الإرادات في عمليّة العبور.

بهذا المعنى نقرأ في الارشاد الرسوليّ **"رجاء جديد للبنان"** (عدد ١١٣) أنّ على المسيحيين الذين يتعاطون الشأن السياسيّ، أن يمارسوه ملتزمين بأبعاد معموديّتهم المثلّثة: **ففي البعد النبويّ**، يشهدون لحقيقة الله والانسان والتاريخ، بتجسيد روح الانجيل في حياتهم اليوميّة والعائليّة والوطنيّة، ويعبّرون بجرأة عن الحقيقة، ويصمدون برجائهم في المجد الآتي وسط مشقّات زمنهم الحاضر. **وفي البعد الكهنوتيّ**، يجعلون من نشاطهم السياسيّ، التشريعيّ والإجرائيّ والإداريّ والقضائيّ والاقتصاديّ، ومن سائر أعمالهم قرابين روحيّة، يسبّحون بها الخالق والفادي. **وفي البعد الملوكيّ**، يتغلّبون على الخطيئة والظلم والاستضعاف، ويخدمون المحبّة والعدالة والإنصاف، ويعملون على خلق مستقبل أفضل، وأكثر إنسانيّة، وجديرٍ بكرامة الشخص البشريّ، وعلى بعث تحوّلات لا بدّ منها.

٣. القدّيسة تقلا زنبقة الصليب

تقلا هي أولى الشهيدات اللواتي اختبرن فصح المسيح بالموت والقيامة. عاشت في أيّام الربّ يسوع من دون أن تلتقيه، لكونها من إيقونية، في آسيا الصغرى، حيث ولدت حوالى سنة ٢٠، في عائلة وثنيّة. لكنّها عرفته من خلال كرازة بولس الرسول في مدينتها حوالى سنة ٤٥. وقع كلامه في قلبها، فولّد الايمان بالمسيح: "الايمان من السماع". تعمّقت في التعاليم الانجيليّة وطلبت المعموديّة، فتبدّلت حياتها كلّها. هذه كانت حقًّا

ولادتها الثانية التي جعلتها تعاين سرّ ملكوت الله وتدخل في عمق الشركة مع الله، على ما قال يسوع لنيقوديمس: "ما لم يولد الانسان ثانية من الماء والروح، لا يستطيع أن يعاين ملكوت الله، ولا أن يدخله" (يو ٣/٣و٥).

تركت خطّيبها الوثنيّ والوجيه مثلها، ونذرت بتوليّتها لله، وعكفت على التأمّل والصلاة. ولمّا سألتها أمّها عن هذا التغيير الجذريّ في حياتها، أجابت: إنّه ثمن اصطباغها بماء العماد المقدّس وإيمانها بالمسيح. شكوها إلى الوالي فأمر بتعذيبها بالرمّي في النار، وطرحها للوحوش الضارية، وتكبيلها في السجن، وربطها بثيران غير مروّضة. هذا "**سرّ الاثم**" الذي تنبّأ عنه الربّ في إنجيل اليوم. إنّها **محنة الصليب** واختبار ميتة المسيح.

لكنّ الله نجّاها، وظلّت، بنعمته، صامدة وثابتة في إيمانها وكرازتها. وسمّت نفسها مثل بولس معلّمها "عبدة يسوع المسيح". وراحت بدورها تنادي بإنجيل الملكوت في القلمون ومعلولا وصيدنايا. إنّه **فصح المسيح ومجد القيامة** المتجلّيان في القدّيسة تقلا. منذ ألفي سنة ونعمة الله فاعلة في التاريخ، والانتصار على الشرّ جارٍ بشفاعة هذه القدّيسة.

■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

من "**معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة**" نواصل موضوع "**دولة الرفاهيّة**" (Welfare-State) أو "**الدولة – العناية**" (Etat-Providence). لكي يكون هذا النوع من الدولة مستوفيًا مفهوم "الرفاهيّة" و"العناية"، ينبغي أن يكون هدف الدولة الانسان والأسرة والمجتمع.

الانسان من طبعه كائن اجتماعيّ. وبهذه الصفة يحمل مسؤوليّة طبيعيّة تجاه أعضاء المجتمع الآخرين. هذه المسؤوليّة تصبح في خطر عندما

يعتقد الانسان أنّه أهمّ من غيره، فتولّد فيه رغبة التسلّط على القريب. ولهذا يحتاج إلى قيم عليا تفوق حاجاته الماديّة كالطعام والمسكن والحياة في جماعة. فالقيم العليا تعطيه أسبابًا للوجود والحياة، فيما الحاجات الأخرى تعطيه وسائل للعيش.

الأسرة خليّة المجتمع تقدّم له نموذجًا حيًّا عن حاجاته إلى أشخاص قادرين على بناء مجتمع يضحّون في سبيله، وينالون منه خيرات كبيرة. والأسرة مرآة تمكّن أفرادها من البحث في عمق ذواتهم عن قدرتهم على أعطاء معنى للحياة الاجتماعيّة، ودعمًا كاملاً للدولة- العناية. إذا تربّى أفراد العائلة على المحبّة والتضامن، تجاوزوا الذهنيّة الفرديّة. الأسرة هي المكان حيث يتنشّأ الانسان على التمييز الأساسيّ بين ما هو ماديّ وما هو روحيّ، وإلاّ اختار الطريق الخاطىء المؤدّي إلى الاستهلاكيّة.

المجتمع هو الجماعة- الامتداد للأسرة، فيصبح "العائلة البشريّة" التي تتميّز بالتضامن والعمل معًا. إنّ مجتمعاً مبنيًّا على الفرديّة والنفعيّة والأنانيّة مجتمع سائر إلى التفكّك والانحلال، إذ يصبح مجموعة أفراد غير قادرين على العيش معًا، وبعيدين عن جماعة تعيش التقاسم في كلّ أشكال النشاط البشريّ، وفي **طليعتها الحياة الاقتصاديّة**.

مطلوب من **الدولة- العناية** إجراء ما يلزم من إصلاحات في داخلها تشمل ثلاثة: **تجنّب هدر المال العامّ** في نشاطات منتجة تشكلّ عبئًا ثقيلاً على الميزانيّة العامّة؛ **اعتماد الخصخصة** التي تؤمّن دخلاً ماليًّا من بيع الأملاك العامّة، وتزيل الخسارات الثقيلة التي يُمنى بها عدد من مشاريع الدولة، وتحرّرها من عبء البحث عن مداخيل لتمويلها؛ وضع **نظام للتقاعد** وفقًا لامكانيّات الدولة، مع تخفيضات في التقدّمات حيث يلزم.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين: "**الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**".

١. **لعبت كنيستنا دورًا تاريخيًّا** على صعيد التربية والاقتصاد والفنون. فكانت لها نشاطات إنتاجيّة زراعيّة عبر القرون في جبل لبنان؛ وقد اشتهر الموارنة بمهارتهم في أعمال الفلاحة. وعملت الكنيسة على نشر التربية والعلوم، فأسهم أبناؤها في نهضة اللغة العربيّة، وانفتحوا على الحضارة الأوروبيّة، وكان لهذا النشاط أثر اقتصاديّ عظيم في تقدّم الطائفة وتعميم الرقيّ الاقتصاديّ والاجتماعيّ في محيطها (الفقرتان ٧ و٨).

٢. **أدّت الرهبانيّات المارونيّة** دورًا اقتصاديًّا كبيرًا في ازدهار الأرياف الجبليّة، بإنشاء أديرة وتنظيم أعمال زراعيّة. وكانت وقفيّات أراضٍ شاسعة ابتداءً من القرن الثامن عشر، ومارس الرهبان أنواعًا مختلفة من المهن كالمحاماة والطباعة والصناعة ومهن البناء (فقرة ٩).

٣. امتدّ دور الموارنة الاقتصاديّ إلى **بلدان الانتشار** بدءًا من القرن السادس عشر، فكان لهم إسهام كبير في اقتصاد البلدان التي انتشروا فيها من خلال نشاطاتهم على مستوى الثقافة والعلم والتجارة والصناعة والإعلام والسياسة. هذا فضلاً عن دورهم في الداخل حيث ساندوا حركة الفلاّحين لمناهضة الروح الاقطاعيّة التقليديّة. ويذكر دور الكنيسة في تخفيف المجاعة أثناء الحرب العالميّة الأولى، ودور البطريركيّة المارونيّة في إعادة الأجزاء المسلوخة من لبنان، وهي مناطق تتميّز بوفرة مياهها وخصوبة سهولها. هذا فضلاً عن دورها في مساندة المطالب العالميّة العادلة في أثناء عهد الانتداب (فقرة ١٤).

٤. ولكن، **بعد الاستقلال اللبنانيّ** نسيت الأجيال المتتالية تاريخ كنيستهم الاقتصاديّ والثقافيّ، وأهملت قضايا التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة، متّكلة على الدولة الفتيّة. تدعو الكنيسة إلى احترام قيمتين في واقع التنظيم الاقتصاديّ هما الحريّة والتضامن. وتطالب الدولة بحماية حقوق كلّ فرد، وبالمساعدة الإيجابيّة على الازدهار العامّ من أجل تأمين نموّ أفضل للأفراد والجماعات، وبتجنّب الحلول محلّ النشاط الخاصّ الفرديّ أو الجماعيّ، ما دام هذا النشاط قادرًا على القيام بدوره، أو غير رافض له، وفقًا لمبدأ الانابة (subsidiarité) (فقرة ١٣ و١٤).

٥. جدير بالذكر أنّ الإرشاد الرسوليّ "**رجاء جديد للبنان**" ركّز على القضايا الانسانيّة والاجتماعيّة، وعلى ضرورة العمل من أجل العدالة الاجتماعيّة. وذكّر العاملين في الخدمة العامّة، في الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، باحترام الموجبات الأخلاقيّة، وبإخضاع مصالحهم الخاصّة والفئويّة لصالح وطنهم والخير العامّ، وبتجاوز السلوك الأنانيّ للعيش في تجرّد ينهب إلى حدّ إنكار الذات (فقرة ١٥).

إنّ الخطّة الراعويّة تقتضي من الجماعات المنظّمة أن تتعمّق في هذه النصوص وبخاصّة الفقرات ٩٤ -٩٦ من الإرشاد الرسوليّ، وأن تستمدّ منها مبادىء نشاطات أفرادها.

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، أنت تنبّهنا على المحن والاضطرابات التي ترافق زمننا، وتنبّهنا إلى قيام مسحاء كذبة يضلّون العقول عن الحقّ والإرادات عن

الخير، ويزرعون الانشقاقات والانقسامات، حتّى جفاف المحبّة في القلوب. نسألك أن تعضدنا لنلبّي الدعوة إلى الصبر والثبات في الايمان والرجاء والمحبّة. ونضرع إليك من أجل المسؤولين في بلادنا ليكونوا خدّام العدالة والخير العامّ. ساعدنا معهم على إعادة بناء الوطن اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، فيصبحَ دولة راعية للانسان والعائلة والمجتمع؛ فنرفع الشكر والتسبيح للآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين.

الأحد الثالث من زمن الصليب

انتظار مجيء الربّ

من إنجيل القدّيس متّى ٢٤/ ٢٣-٣١

قال الربّ يسوع: إن قال لكم أحد: هوذا المسيح هنا أو هناك! فلا تصدّقوا، فسوف يقوم مُسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويأتون بآيات عظيمة وخوارق، ليضلّوا المختارين أنفسهم، لو قدروا. ها إنّي قد أنبأتكم! فإن قالوا لكم: ها هو في البريّة! فلا تخرجوا، أو: ها هو في داخل البيت! فلا تُصدّقوا. فكما أنّ البرق يُومض من المشارق، ويسطع حتّى المغارب، هكذا يكون مجيء ابن الانسان. حيث تكون الجثّة هناك تجتمع النسور. وحالاً بعد ضيق تلك الأيّام، الشمس تُظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تتساقط من السماء، وقوّات السماوات تتزعزع. وحينئذ تظهر في السماء علامة ابن الانسان، فتنتحب قبائل الأرض كلّها، وترى ابن الانسان آتيًا على سحب السماء بقدرةٍ ومجدٍ عظيم. ويُرسل ملائكته ينفخون في بوق عظيم، فيجمعون مختاريه من الرياح الأربع، من أقاصي السماوات إلى أقاصيها.

***

هذا النصّ الانجيليّ يواصل جواب يسوع على سؤال التلاميذ: "**قل لنا ما هي علامة مجيئك وانتهاء العالم**" (متّى ٢٤/٣). فينبّه إلى ظهور "مسحاء دجّالين وأنبياء كذبة" أي أشخاص وتيّارات مضلّلة، ويدعو إلى عدم الانصياع لهم (متّى ٢٤/٢٣-٢٥)؛ ويؤكّد أنّ يوم مجيء الربّ مباغت مثل

ظهور البرق، وفاعل إذ يجتذب الناس في كلّ مكان، كما الجثّة تجمع النسور (الآية ٢٦-٢٨)؛ ويستعمل صورًا رؤيويّة من كتب أنبياء العهد القديم، تدلّ على كيفيّة نهاية العالم بتفكّك عناصر الطبيعة الأساسيّة أي الشمس والقمر والكواكب والنجوم وتناثرها (الآية ٢٩)، وتصف مجيء المسيح الأخير بالعزّة والمجد، وانتحاب جميع القبائل من أعماق الأرض (الآية ٣٠)، وتنتهي بخلاص المختارين الذين يجمّعهم الملائكة على صوت البوق العظيم من جهات الأرض الأربع (الآية ٣١).

نقرأ هذا النصّ في ضوء **لاهوت الانتظار**، حيث الانسان يسعى إلى تحقيق ذاته، مختبرًا محدوديّته وعدم كفايته، ومدركًا حاجته إلى نعمة المسيح التي تكمّله. إنّنا نجد نموذجًا لعيش لاهوت الانتظار في القدّيسة تقلا، أولى الشهيدات.

■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

١. النصّ الرؤيويّ

نجد في أسفار الأنبياء وفي كتاب رؤيا يوحنّا النهج الأدبيّ المعروف بالرؤيويّ، الذي "يكشف ويوحي" (Apocalypse) من خلال صور حسّية حيّة، مستقبل شعب الله والكنيسة وما يواجههما من مصاعب. كما يكشف ويوحي على التوالي: تدخّل الله في التاريخ، وخراب أورشليم، ونهاية العالم، ومجيء المسيح النهائيّ بالمجد. وينتهي هذا النوع الأدبيّ الرؤيويّ بالدعوة إلى الرجاء والصبر والثبات والصمود في الحقّ؛ فالكنيسة منتصرة أبدًا بقوّة المسيح الذي هو سيّد الظفر والخلاص.

إنّ الصور الحسيّة عن تفكّك قوى الفلك (متّى ٢٩/٢٤) مأخوذة من **أشعيا** (١٠/١٣)؛ ووصف مجيء المسيح، ابن الانسان، على غمام السماء

بالعزّة والجلال مستعار من **نبوءة دانيال** الذي يروي رؤياه: "رأيت مثل ابن الانسان آتيًا على غمام السماء، وأوتي سلطانًا ومجدًا وملكًا، وسلطانه أبديّ لا يزول وملكه لا ينقرض" (دا ٧/١٣-١٤)؛ انتحاب جميع قبائل الأرض عند رؤية ابن الانسان مستوحاة من **نبوءة زكريّا** الذي ينقل ما قاله له الربّ: "فينظرون إليّ أنا الذي طعنوه، وينوحون كما يُناح على الوحيد، ويبكون بكاءً مرًّا كما يبكى على البكر، وتنوح الأرض، كلّ عشيرة على حدتها" (زكريّا ١٢ /١٠-١٢)؛ نفخ البوق في اليوم الأخير مأخوذ من **نبوءة حزقيال** (٧/٥-١٢)، **وسيراه يوحنّا** الذي عندما نفخ الملاك السابع والأخير بوقه، تعالت أصوات في السماء تقول: "صار مُلك العالمين لربّنا ولمسيحه، فيملك أبد الدهور" (رؤيا ١١/١٥).

٢. قراءة على ضوء لاهوت الانتظار

زمن الصليب معروف **بزمن الانسان في انتظار المسيح**، مع اختبار **عدم كفاية** (insuffisance) الانسان لتحقيق مستقبله بحثًا عن **حلّ** يقود إلى المسيح. الانتظار هو **البحث الجدّيّ عن حلّ لعدم الكفاية بأمل الوصول إليه.** نجد عند الفيلسوف الفرنسيّ Blondel في كتابه الشهير L'Action (سنة ١٨٩٣) تحليلاً فلسفيًّا لواقع الانتظار الذي يعبر مراحل هي بمثابة تسع موجات: **في الأولى** يسعى فعل الانسان إلى تحقيق علاقة متناغمة مع العالم الماديّ؛ **في الثانية** يبني الانسان حياته الداخليّة؛ **في الثالثة** يبحث عن اكتمال حياته الشخصيّة بحبّ الآخرين، **في الرابعة** يصبح الحبّ عنده ينبوعًا للحياة العائليّة؛ **في الخامسة** يعزّز ويغذّي الحياة في جماعة؛ **في السادسة** يتوق إلى تحقيق جماعة أكثر شموليّة؛ **في السابعة** يندفع إلى ما وراء آفاق الزمان والعالم، إلى تحقيق القيم الخلقيّة؛ **في الثامنة** يتشوّق دومًا

إلى تجاوز حدود المكان والزمان؛ **في التاسعة والأخيرة** يبلغ الفعل إلى بعده الدينيّ، حيث اللقاء بنعمة المسيح التي هي الحلّ.

في كلّ "**مرحلة**" من المراحل التسع يصبح فعل الانسان نبعًا لكمال جديد نسبيّ يظهر في المرحلة اللاحقة، يغني الحياة، ويبلغ إلى قيم جديدة، في مسيرة تدريجيّة نحو تحقيق المصير. ولكن قلّما تحقّق أي مرحلة الكمال، فيبقى الانسان "**كائنًا غير مكتمل**" في كلّ مرحلة وفي المراحل بأجمعها. إنّ اختبار "عدم الاكتمال" و"عدم الكفاية" يصبح مقياس الأصالة والصدق، ويجعل الانسان في **رحلة حجّ** يريد **اكتشاف عالم جديد**، هو بمثابة "الفردوس" الذي يجيب على رغباته غير المحدّدة. غير أنّه لا يلقى في مسيرته الطويلة إلاّ الصحراء، ويظلّ في عطش لا يروى: "طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ" (متّى ٥/٦).

لن يقع الانسان، عبر هذا المسعى، في حالة تشاؤم أو يأس، بل هو مدعوّ للانفتاح الدائم على الرجاء والانتظار، ولو كانت الدعوة قاسية ومؤلمة بسبب عدم الكفاية وعدم الارتواء: "ظمئت نفسي إلى الله، إلى الإله الحيّ" (مز ٤٢ م ٣). وبذلك يجد نفسه مرغمًا على اختيار الانتظار: فهو لا يستولي على المستقبل، بل ينتظر حلاً له. إنّه التوق إلى "**عالم جديد ينبع من قلب المسيح، عالم جديد يصنعه حبّ المسيح**".

من القراءة في ضوء لاهوت الانتظار يكشف نصّ الانجيل ثلاث حقائق:

أ- في مسيرة حجّنا نحو تحقيق المستقبل والمصير، نلقى العديد من "**المسحاء والأنبياء الكذبة**" الذين ينطقون بالحقيقة المزوّرة على مختلف الأصعدة، بحيث بعض الناس يخلقون مسيحًا على قياسهم

وفقًا لأفكارهم وحساباتهم الزمنيّة، بينما المطلوب أن نكتسب فكره لا أن نجعله كما نريد. المسيح الذي يظهر كالبرق، يتخطّى كلّ حجم يحجّمه. نكون من الأنبياء الصادقين عندما لا نخاف من قول الحقيقة مهما كلّف القول من اضطهاد. ينبغي أن يكون الانسان نبيّ الله لا نبيّ هذا أو ذاك من الرؤساء."**نبيّ الله**" ينطق بالحقّ الذي يريده الله، بينما "**نبيّ الرؤساء**" يقول ما يقوله الرؤساء ويفكّر كما يفكّرون. لقد ردّد أنبياء الله: "ما يقوله لي الربّ أقوله أنا". لا يستطيع المسؤول أن يزوّر الحقيقة، ولا يجوز أن يرضى بالمتملّقين الذين يزوّرن الحقيقة السياسيّة أو القضائيّة أو الاقتصاديّة إرضاء لهم ولمصالحهم: "صديقك من صدقك!" أيلطم على فمه من يقول الحقيقة ويُلقى في السجن؟ ولكن هذا ما فعله أحد الحرس الذي صفع يسوع على وجهه أمام عظيم الأحبار عندما فاه له يسوع بالحقيقة (يو ١٨/ ٢٠-٢٢). وصفعه بيلاطس صفعة معنويّة عندما سأل يسوع عن الحقيقة وخرج فورًا من دون أن يسمعها (يو ١٨/ ٣٨).

ب- "**الشمس التي تظلم** والقمر الذي لا يعطي ضوءه والنجوم التي تتساقط من السماء"، قبل مجيء المسيح بالمجد، علامة للخلق الجديد والعالم الجديد، تمامًا كما جرى في الخلق الأوّل، فقبل أن يتدخّل الله الخالق ويخلق ما في السماء وعلى الأرض، كانت الأرض خاوية خربة من دون شمس وقمر ونجوم. فلكي "يجعل المسيح كلّ شيء جديدًا" (رؤيا ٢١/ ٥)، ينبغي أن تعود الأرض إلى حالتها الأولى، فيكون انحلالها مخاضًا لولادة جديدة. هكذا مجيء المسيح في حياتنا اليوميّة يقتضي منّا موتًا عن قديم، وتوبة قلب، وتنقية داخليّة، لكي تولد حياة جديدة فينا وفي مجتمعنا والوطن.

ج- **نحيب القبائل** عند رؤية ابن الانسان آتيًا في مجده وتلبية النداء بصوت البوق العظيم، علامة لبكاء التوبة أسفًا وندامة، ولبكاء الفرح عند الانخراط في موكب المختارين المخلّصين.

٣. القدّيسة تقلا نموذج لعيش لاهوت الانتظار

على الرغم من غناها وجمالها وذكائها وثقافتها وخطوبتها لشاب شريف ووجيه وانتمائها إلى عائلة وثنيّة شريفة في أيقونة، اختبرت تقلا "عدم كفايتها"، ودخلت في مسيرة الانتظار. فاستمعت ذات يوم من سنة ٤٥ بعد المسيح، وهي بعمر ٢٥ سنة، إلى بولس الرسول في مدينتها، فارتفعت إلى قمم الروح واستنار عقلها بالحقيقة المطلقة، ووجدت الحلّ لعدم كفايتها، فطلبت المعموديّة وحقّقت مستقبلها، مكرّسة بتوليّتها للمسيح ولملكوت السماء. وعندما سألتها أمّها عن هذا التبدّل في حياتها، أجابت إنّه "ثمن اصطباغها بماء العماد المقدّس وإيمانها بالمسيح الذي نذرت له بتوليّتها".

وكان لا بدّ لها من "**صبغة الدم**"، ومن اختبار حالة "**عدم الاكتمال**"، ومن المرور عبر محنة إخلاء الذات. فشكَوها للوالي. ورغم تهديداته، احتملت، بشجاعة وصبر وثبات، عذاب النار والوحوش والسجن والثيران والحيات؛ فكانت تنجو وتنتصر. وعندما سئلت عن سرّ ذلك، أجابت: "أنا عبدة يسوع المسيح ابن الله الحيّ. هو وحده الطريق والحقّ والحياة وخلاص من يرجونه" (السنكسار المارونيّ).

■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

نواصل التعمّق في موضوع "**دولة الرفاهيّة**" أو "**الدولة-العناية**" المأخوذ من "معجم التعابير الملتبسة والمتنازع عليها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة".

١. **يُطلب** من "دولة الرفاهيّة" (Welfrae State) أو "الدولة-العناية" (Etat-Providence) لكي تكون كذلك، ألاّ تهمل أو تضع جانبًا مهامّها الاجتماعيّة، وألاّ تحدّ من مبادرات الأفراد على الصعيد الاجتماعيّ. عندما تتدخّل مثل هذه الدولة في الشأن الاقتصاديّ، يبقى من واجبها أن تقف عند حدود درجة التدخّل. فلا يحقّ لها أن تجرّد القوى الفرديّة أو الجماعيّة الخاصّة من صلاحيّتها، بل عليها أن تساعدها بالتنسيق بين نشاط الدولة ونشاط العناصر الأخرى التي يتألّف منها المجتمع، تحقيقًا للخير العامّ. فإذا عمدت دولة الرفاهيّة إلى التدخّل المباشر حتّى تجريد المجتمع من مسؤوليّاته، أفضى بها الأمر إلى استنزاف الطاقات البشريّة واستعمال الأجهزة العامّة بذهنيّتها البوروقراطيّة وما يرافقها من تضخّم في النفقات (البابا يوحنّا بولس الثاني: السنة المئة، ٤٨).

٢. ولكي تكون الدولة راعية حقًّا، ينبغي أن **تعتبر الانسان محور النشاط الاقتصاديّ، وكلّ النشاط الاجتماعيّ**. كلّ شيء في الكون هو في خدمة الانسان. فالأدوات والتقنيّة والتقدّم العلميّ وكلّ خيور الطبيعة تتّجه إلى هدف واحد هو خدمة الانسان والانسانيّة جمعاء. ولذا لا يجوز أبدًا أن يؤدّي تدخّل الدولة إلى عرقلة قدرات أعضاء الجماعة.

من المؤسف أن نلحظ كيف أنّ الدولة تخنق الحقّ في المبادرة الاقتصاديّة، الذي هو حقّ مهمّ، ليس فقط للأفراد، بل أيضًا للخير العامّ. يبيّن الاختبار أنّ إنكار هذا الحقّ أو الحدّ منه لسبب أو لآخر، يحدّ من روح المبادرة، أي شخصيّة المواطن الخلاّقة، إذا لم نقل إنّه يهدّمها فعليًّا. لا يجوز للدولة أن تدخل في تنافس مع القطاع الخاصّ بشكل غير متساوٍ. إذا فعلت ذلك حدّت من طاقة الأفراد الخلاّقة التي هي من أهمّ خيور المجتمع. فينقص بالتالي التضامن الشخصيّ، ويفقد العديد من

الأوضاع المؤلمة مبادرات التضامن، فيما الدولة عاجزة عن معالجتها. وهكذا يبقى الحقل واسعًا بانتظار الشعور الانسانيّ والمحبّة المسيحيّة والاجتماعيّة. لن تستطيع الدولة أبدًا أن تؤدّي المساعدة في كلّ وضع، وبخاصّة عندما يكون الناس بحاجة إلى قرب واستقبال وتفهّم.

٣. كم نأمّل أن يعمل المسؤولون عندنا على إعادة إعمار دولة راعية حقًّا، تبني على هذه المبادىء! وكم ننتظر منهم أن يأتوا مجتمعنا ببرامج إنمائيّة، على هذا المستوى، بدلاً من الاتّهامات الفارغة والتخوين البغيض. وتبقى القاعدة صحيحة، وهي أنّ الانسان يتّهم غالبًا غيره في ما هو عليه، ويظنّ أنّ غيره مثله.

الدولة-العناية هي التي تؤمّن شبكة من المؤسّسات الاجتماعيّة توفّر الأمن والاستقرار، وتضع خيرات الدنيا في متناول الجميع. وهي التي تنمّي الخدمات العائليّة والثقافيّة والتربويّة، شرط ألاّ تضع المواطن في حالة الاتكاليّة واللامسؤوليّة ورفض الخدمة (البابا يوحنّا الثالث والعشرون: أمّ ومعلّمة، ١٠٥).

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

الخطّة الراعويّة في هذا الأسبوع ترتكز على الفصل الثاني من النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين: "**الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**"، وتحديدًا على **التيّار الفكريّ** في لبنان المتمثّل في "جعل وظيفة لبنان الاقتصاديّة التخصّص في دور الوسيط في التجارة والخدمات بين الدول العربيّة والدول المتقدّمة، على حساب تطوير قطاعيه الزراعيّ والصناعيّ، وعلى عدم تدخّل الدولة في الاقتصاد تاركة لآليّات السوق قيادة دفّة الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة" (فقرة ١٨).

١ . كانت نتائج هذا التيّار الفكريّ الاقتصاديّ ما يلي:

أ. تأكيد وظيفة بيروت مركزًا لخدمات تجاريّة.

ب. اعتبار وظيفة جبل لبنان مركزًا سياحيًّا.

ج. تحويل لبنان وكيانه الاقتصاديّ إلى الدولة-المدينة وإلى "جمهوريّة" تجاريّة الطابع على غرار المدن اليونانيّة والإيطاليّة القديمة.

٢ . استوحى هذا التيّار نظريّته من **التراث الفينيقيّ القديم** بوجهه التجاريّ فقط مهملاً وجهه الأدبيّ والشعريّ، علمًا أنّ هذا التراث متعدّد الجوانب ومبدع وخلاّق. إنّ الرؤية الفينيقيّة لوظيفة الكيان الاقتصاديّ أدّت إلى تخصّص لبنان في مجال الخدمات والسياحة، وانحصر الازدهار في بيروت وجبل لبنان (الفقرتان ١٩ و٢٠).

٣ . وكانت النتيجة أن حصرت الكنيسة دورها في مجال التربية والاستشفاء والأعمال الخيريّة، ما خلّف فراغًا على الصعيد الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وخلق نوعًا من الفراغ سهّل لتيّارات التشنّج الطائفيّ، وتيّارات رفض التغيير الاجتماعيّ أو رفض توسع الدولة في الشأن الاجتماعيّ والاقتصاديّ لتأمين تعادل الفرص. ثمّ جاء اندلاع الحرب سنة ١٩٧٥، وجعل الدولة اللبنانيّة مهدّدة في وجودها واستمرارها، وسُدل الستار على أيّ إصلاح اقتصاديّ واجتماعيّ (فقرة ٢٢).

إنّ الخطّة الراعويّة تهدف إلى وعي هذا الواقع، وإلى المطالبة بالإصلاحات الاقتصاديّة والاجتماعيّة بدلاً من الاصطفاف العقيم في هذا أو ذاك من التيّارات السياسيّة.

***

صلاة

تعال أيّها الربّ يسوع، نحن والعالم بانتظارك هاديًا وفاديًا ومخلّصًا. أنرنا بأنوار الانجيل لنصحّح نظرتنا إلى العالم والتاريخ. أخرجنا من القلق، فإنّنا نصرخ إليك: تعال أيّها الربّ يسوع! إنّ مجتمعنا يتمخّض ليولد من جديد، فساعدنا لنعبر به إلى وطن يُخلص له أبناؤه، وإلى قيام دولة راعية للانسان فيه، ومحامية عن الأسرة في كيانها ووحدتها، فإنّها الخليّة الأساسيّة للمجتمع الجديد. إليك وإلى أبيك المبارك وروحك الحيّ القدّوس نرفع كلّ مجد وتسبيح وشكر الآن وإلى الأبد. آمين.

الأحد الرابع من زمن الصليب

الحياة وكالة من الله للخدمة

من إنجيل القدّيس متّى ٢٤/ ٤٥-٥١

قال الربّ يسوع: «من هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيّده على أهل بيته، ليعطيهم الطعام في حينه؟ طوبى لذلك العبد الذي يجيء سيّده فيجده فاعلاً هكذا! الحقّ أقول لكم: إنّه يقيمه على جميع ممتلكاته. ولكن، إن قال ذلك العبد الشرّير في قلبه: سيتأخّر سيّدي وبدأ يضرب رفاقه، ويأكل ويشرب مع السكّيرين، يجيء سيّد ذلك العبد في يوم لا ينتظره، وفي ساعة لا يعرفها، فيفصله، ويجعل نصيبه مع المرائين. هناك يكون البكاء وصريف الأسنان».

***

زمن الصليب هو انتظار مجيء الربّ في حياتنا اليوميّة استعدادًا لمجيئه الأخير في نهاية الرحلة الشخصيّة على الأرض، استباقًا لمجيئه النهائيّ في نهاية الأزمنة. إنجيل اليوم يشرح مضمون هذا الانتظار: الانسان موكّل من الله لخدمة الناس الذين هم عائلة الله. حياته انصراف إلى هذه الخدمة بالحكمة والأمانة، منتظرًا مجيء الربّ للثواب. أمّا إذا نسي حالته، كوكيل على خيرات الله، وحجبها عن الناس، وظلمهم واعتدى عليهم، فمصيره الهلاك الأبديّ.

■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

١. الخدمة بالحكمة والأمانة

يستعمل الربّ يسوع في إنجيل اليوم لفظة "**عبد**" لا خادم أو وكيل، لأنّ الأولى بيبليّة. **فالعبد** في الكتاب المقدّس هو الذي يعبد الله بالعيش في شركة حياة عميقة معه، ويصغي إليه، ويصلّي له تسبيحًا وشكرًا، تشفّعًا واستغفارًا، ويبحث عن إرادته ويعمل بها. وهو الذي اختاره الله معاونًا في تحقيق مقاصده الخلاصيّة في التاريخ. ولذا، لفظة "عبد" أشمل من لفظتي "خادم" و"وكيل".

كلّ إنسان يأتي إلى العالم هو "عبد" لله. عليه أن يبحث، بالصلاة والاصغاء والاسترشاد وقراءة علامات الأزمنة، عن إرادة الله عليه، وعن دوره الخاصّ في تاريخ الخلاص، بل كلّ مسؤول في العائلة أو المجتمع في الكنيسة أو الدولة، هو "عبد" الله الموكّل بإعطاء طعام الله للجماعة المسؤول عنها.

يطلب من العبد-الوكيل أن يتحلّى بفضيلتي الأمانة والحكمة.

الأمانة هي لله الذي وكّله، وللناس الذين ينتظرون منه حقوقهم، التي ينالونها إذا هو أدّى واجب حالته. يحذّره الربّ يسوع من استغياب الله ومن إيقاع الظلم بجماعته المدعوّة "أهل بيت الله" (متّى ٢٤/٤٦). فيحاسبه على الأمانة، إمّا ثوابًا "بإقامته على جميع خيراته"، وإمّا عقابًا "بفصله وجعله بين الهالكين".

الحكمة هي أولى مواهب الروح القدس السبع التي تتوّجها مخافة الله: "رأس الحكمة مخافة الله". هذه الفضيلة تقتضي من المسؤول أن يتصرّف وفقًا لإرادة الله ولنظرة الله، وأن يحرص على عدم الاخلال بمسؤوليّته، لكي

لا يسيء إلى الله. بل يجتهد في تحقيق مقاصده عاملاً من أجل مرضاته ومجده. هذه هي الحكمة المتوَّجة بمخافة الله.

٢. عبد الله وواجبات الحالة

في ضوء إنجيل اليوم، لا بدّ لكلّ مسؤول من أن يتساءل عن مضمون وكالته، أو بتعبير آخر عن واجب حالته.

رعاة الكنيسة، الأساقفة، مؤتمنون بملء الكهنوت على خدمة النفوس التي افتداها المسيح بدمه، متمّمين واجب خدمتهم، على صورة الكاهن الأزليّ، الراعي الصالح، بالقداسة والغيرة والتواضع والاندفاع والثبات، منصرفين إلى واجب الصلاة والكرازة والتقديس والتدبير (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٤١).

الكهنة، معاونو الأساقفة في الخدمة المثلّثة وهم "إكليلهم الروحي" (أغناطيوس الأنطاكيّ)، مؤتمنون على مواصلة عمل الفداء بالمسيح، الوسيط الأزليّ الوحيد، بالانصراف إلى خدمتهم اليوميّة في محبّة الله والناس، والمحافظة على رباط الشركة، وتوفير الخير الروحيّ، وأداء الشهادة الحيّة لله. يصلّون ويقدّمون ذبيحة الخلاص عن شعبهم وشعب الله بأسره، متأمّلين في ما يفعلون، ومقتدين بما يخدمون (المرجع نفسه).

المكرّسون والمكرّسات، في الجماعات الرهبانيّة وفي العالم، يعتنقون المشورات الانجيليّة، بنذور أو وعود، وهي العفّة والفقر والطاعة، وبها يتحرّرون ويحرّرون العالم من شهواته الثلاث، ويقفون ذواتهم كليًّا على الله والكنيسة لخدمة محبّة المسيح، بجعله حاضرًا، معلّمًا وشافيًا وصانعًا الخير لكلّ إنسان، من خلال مؤسّساتهم ونشاطاتهم في مختلف الأوساط والأمكنة.

ويكونون علامة تجتذب أبناء الكنيسة وبناتها إلى إتمام واجبات حياتهم المسيحيّة باندفاع وفرح (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٤٤).

الأزواج والوالدون مؤتمنون على وديعة الحبّ والحياة. يتعاضدون ويتساندون بالحبّ الدائم، بقوّة النعمة الإلهيّة، مدى العمر. ويحترمون حياة كلّ واحد منهم ويعزّزونها ويكمّلونها ويعملون على تحقيق الذات. ويخدمون الحياة البشريّة بالإنجاب معاونين الله في نقلها إلى الوجود، وبتربيتها جسديًّا وروحيًّا، ثقافيًّا وخلقيًّا، إنسانيًّا واجتماعيًّا (المرجع نفسه، ٤١).

العلمانيّون في مختلف حالاتهم، الأرامل والعازبون، العمّال وأرباب العمل، المعلّمون والطلاّب، الأطبّاء والممرّضون، المقتدرون والأغنياء، الرازحون تحت عبء الفقر والظلم والمرض والضعف، وسواهم،.. جميعهم مدعوّون للالتزام بواجبات حالتهم. إنّهم يجدون جوابًا على تساؤلاتهم حول هذه الواجبات في شخص المسيح وتعليمه وأعماله.

المسؤولون السياسيّون مدعوّون لاستعمال السلطة الشرعيّة بهدف تأمين الخير العامّ أي "مجمل أوضاع الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والخلقيّة والسياسيّة التي تمكّن الناس والعائلات والمجموعات من تحقيق ذاتهم تحقيقًا أكمل (الكنيسة في عالم اليوم، ٧٤). إنّها دعوة لحكم الدول وسنّ الشرائع وإدارة الشؤون العامّة على مختلف المستويات بالالتزام في خدمة الآخرين، والعمل بتجرّد بحثًا عن خير الجميع وخير كلّ واحد، ولاسيّما من هم أكثر حاجة، لا سعيًا إلى المصلحة الخاصّة أو الفئويّة (خطاب البابا يوحنّا بولس الثاني للمسؤولين عن الحكومات ورجال السياسة في ٤/١١/٢٠٠٠ فقرة ١و٢).

إنّ العمل السياسيّ فنّ شديد الخطورة لما يترتّب عليه من موجبات تتوزّع على أربعة مستويات:

أ- **تنظيم الحياة العامّة** في مقتضياتها اليوميّة ومتفرّعاتها.

ب- **تنظيم الدولة** في نشاطها الداخليّ: إدارة وأجهزة ومخطّطات ومشاريع في ميادين الاقتصاد والاجتماع والتشريع والثقافة، وفي نشاطها الخارجيّ مع الدول وما تبرمه معها من اتفاقيّات ومعاهدات.

ج- **تعزيز محبّة الوطن** وحياته وقيمه وتراثه ورموزه وتاريخه وعاداته، وتحقيق آمال أبنائه وطموحات أجياله الطالعة، وإزالة هواجسهم، ودرء ما يتهدّدهم من أخطار.

د- **تأمين الخير العامّ**، الذي تتوفّر فيه حقوق الشخص البشريّ وتمارس الواجبات المتعلّقة بها (القرار المجمعيّ في الحريّة الدينيّة، ٦). هذا الخير العامّ يشمل الجنس البشريّ بأسره (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٦).

إنّ مبرّر وجود الجماعة السياسيّة، المؤلّفة من شعب وسلطة ومؤسّسات دستوريّة، هو الخير العامّ. فيه تجد معناها ومنه وفي سبيله تنظم مؤسّساتها، وتثمّر قدراتها وثرواتها الطبيعيّة.

■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

من "**معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة**"، نواصل النظر في موضوع "**دولة الرفاهيّة**" (Welfare State) أو "**الدولة-العناية**" (Etat Providence). من النقاط الملتبسة في هذا الموضوع مفهوم "**نوعيّة الحياة**" التي تسعى إلى تعزيزها الدولة-العناية.

١. في البلدان المتطوّرة ينحصر مفهوم "**نوعيّة الحياة**" بوجهه الماديّ، النفعيّ، الاستهلاكيّ. الدولة مسؤولة عن تأمين المساعدة الاجتماعيّة للمواطنين والسكّان، بهدف توفير "نوعيّة حياة لهم". نرى هذه النوعيّة محصورة بالرفاهيّة وغياب الهموم والحياة السهلة، في البلدان المتطوّرة.

أمّا "نوعيّة الحياة" المطلوبة فلا تقف عند حدود الرفاهيّة الماديّة، بل ينبغي أن تشمل إنماء الانسان والمجتمع، إنماءً شاملاً. تكون "نوعيّة الحياة" متوفّرة عندما يُحمى البعد الانسانيّ والدينيّ عند الأجيال الجديدة، كما وعند أعضاء المجتمع الكبار. ولن تكون متوفّرة ما دام هناك عائلات فقيرة، وشباب لا يستطيعون أن يعيشوا في مساكن لائقة، وأشخاص مسنّون يُتركون لوحدهم، ومعوّقون لا تؤدّى لهم المساعدة المناسبة، وما دام التمييز الدينيّ والعرقيّ والسياسيّ قائمًا، والسلاح متفشّيًا خارج إطار المؤسّسات الأمنيّة الشرعيّة، والمخدّرات مروّجة، والجسد البشريّ مرهونًا للدعارة (الدستور الراعويّ: الكنيسة في عالم اليوم، ٢٦).

٢. من واجبات "الدولة- العناية" أن **تؤمّن العيش الرغيد للجميع**. ماذا نعني **بالجميع**؟ هل أبناء الوطن الوحيد الأصليين؟ هل الموالون للسلطة الحاكمة؟ هل المنتمون إلى هذه وتلك من الطوائف أو التيّارات السياسيّة؟ إنّ الخير العامّ لا يقصي أحدًا لأيّ اعتبار أو سبب، ولا ينحصر ضمن حدود جغرافيّة معيّنة. من واجب الدولة- العناية أن تُدخل في سياستها الاجتماعيّة مفهوم الترابط والتبادل الشاملين. فالروابط البشريّة تتكاثر وتمتدّ شيئًا فشيئًا إلى العالم كلّه. والخير العامّ، وهو يشمل الأوضاع الاجتماعيّة التي تسمح للمجموعات، كما ولكلّ واحد من أعضائها، يتّخذ اليوم بعدًا أكثر شموليّة، وبالتالي يشمل حقوقًا وواجبات تعني الجنس البشريّ بأسره. ينبغي لكلّ مجموعة أن تعنى

أيضًا بحاجات المجموعات الأخرى وتطلّعاتها المشروعة، وأن تضع في حسابها خير العائلة البشريّة بمجملها.

نأمل من المسؤولين عندنا، لكي يكون للسلطة السياسيّة مبرّر، أن ينهضوا "بدولة- العناية" التي تتحمّل مسؤوليّتها الاجتماعيّة الخطيرة، فتنصرف إلى إنماء الانسان والمجتمع، إنماءً شاملاً. هذا فضلاً عن واجبها في تنظيم القدرات العامّة وتوجيهها إلى الخير العامّ، الذي هو خير الجميع وخير كلّ إنسان.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين: **"الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة"**، وتحديدًا **"الإصلاحات الاقتصاديّة والاجتماعيّة"** منذ أحداث ١٩٥٨ حتّى اليوم (الفقرات ٢٣-٣٥).

١. يستعرض النصّ **الإصلاحات التي جرت ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٤**، في عهد الرئيس فؤاد شهاب. وهي إصلاحات أحوج ما نحتاج إليها اليوم في لبنان لكي يخرج من أزمته الاقتصاديّة والاجتماعيّة الحادّة. لقد أجراها الرئيس شهاب مستعينًا بخبراء فرنسيّين ولبنانيّين بقيادة الأب لويس لوبريه في وزارة التصميم، والذي استلهم الرسالة العامّة الشهيرة للبابا بولس السادس: "ترقّي الشعوب".

شملت الإصلاحات ثلاثة: تحديث جهاز الدولة وتطويره في المجالين الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وتطوير البنى التحتيّة في جميع المناطق، وتأمين الحدّ الأدنى من تعادل الفرص بين اللبنانيين (فقرة ٢٣). أجري مسح شامل للمناطق ووضعت الخطط الكفيلة بتأمين نموّ متواصل وعادل في توزيع ثماره على كلّ المناطق والقطاعات الاقتصاديّة والشرائح

الاجتماعيّة. قامت صعوبات واجهت تطبيقها، فكان لا بدّ من العمل تدريجيًّا على ولادة حسّ مدنيّ وإقامة انصهار وطنيّ حقيقيّ (فقرة ٢٤).

٢. **هدفت الإصلاحات الشهابيّة** إلى تطبيق سياسة إعادة البناء والإصلاح بالارتكاز إلى مبدأين رئيسين: التضامن الاجتماعيّ وبناء الدولة.

على صعيد التضامن الاجتماعيّ، عملت الإصلاحات على إزالة الفقر الريفيّ وعدم التوازن المناطقيّ، بجرّ المياه ومدّ شبكات الكهرباء، وتطوير مرفأ بيروت وإقامة معرض طرابلس الدائم، وإنشاء سلسلة من المدارس الرسميّة والمستوصفات وتطوير الجامعة اللبنانيّة، واستصلاح الأراضي بمؤازرة المشروع الأخضر، وإنشاء مكتب الفاكهة ومكتب الحرير، وتأسيس الصندوق الوطنيّ للضمان الاجتماعيّ، وإنشاء مكتب الإنعاش الاجتماعيّ.

وعلى صعيد بناء الدولة، أنشئت مؤسّسات كبرى هي: المصرف المركزيّ، مجلس الخدمة المدنيّة، هيئة التفتيش الكبرى، ومجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت (فقرة ٢٤).

٣. فجّرت أحداث ١٩٧٥ الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة (فقرة ٢٥ و٢٦). وكانت **سياسة إعمار جديدة** ركّزت على ثلاثة: مشاريع البنيّة التحتيّة العالية الكلفة والمحصورة في بيروت وجبل لبنان، فتح باب التعويض للمهجّرين بمعايير عشوائيّة، وسياسة نقديّة اعتمدت الفوائد العالية للغاية. لقد أهملت سياسة الإعمار إحياء القدرات الإنتاجيّة في الميدانين الصناعيّ والزراعيّ، كما أحجمت عن مساعدة اللبنانيّين في تأمين قدرة تنافسيّة لمنتوجاتهم في هذين القطاعين، مع التطوّرات العلميّة السريعة التي حصلت في العالم العربيّ والغربيّ، وانتشار حركة العولمة

(فقرة ٢٧). أدّت سياسة الإعمار هذه إلى نتائج سلبيّة كبيرة تعدّدها الفقرات ٢٨-٣١.

٤. **واجهت الكنيسة المارونيّة الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة الحاضرة** بإيقاظ الوعي بالتعليم من خلال عظات السيّد البطريرك وبيانات السادة المطارنة، وبمبادرات إنمائيّة على المستوى الاجتماعيّ والثقافيّ والاستشفائيّ والإنمائيّ بواسطة المؤسّسات الكنسيّة البطريركيّة والأبرشيّة والرهبانيّة (الفقرات ٣٢-٣٤).

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، لقد أوكلت إلينا الحياة والخدمة الاجتماعيّة، وجعلتنا لك وكلاء على أسرار الله وعلى خيرات الدنيا، أعطنا أن نؤدّي الخدمة بحكمة وأمانة. إنّنا على موعد دائم مع مجيئك اليوميّ في حياتنا، عبر نداءات المجتمع الروحيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، والتي تطلب منّا موقفًا ومبادرات لتلبية الحاجات الكثيرة. ساعدنا، بشفاعة أمّنا مريم العذراء، في هذا الشهر المخصّص لتكريم ورديّتها، لكي نرى وجهك كما رأته هي، وأن نجعله حاضرًا في أعمالنا وشهادة حياتنا. لك المجد والشكر مع أبيك المبارك وروحك الحيّ القدّوس إلى الأبد، آمين.

الأحـد الخـامس من زمن الصليب

الحياة التزام وانتظار تجلّيات الله

من إنجيل القدّيس متّى ٢٥/ ١-١٣

قال الربّ يسوع: «يُشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذن مصابيحهنّ وخرجن إلى لقاء العريس، خمسٌ منهنّ جاهلات، وخمسٌ حكيمات. فالجاهلات أخذن مصابيحهنّ ولم يأخذن معهنّ زيتًا. أمّا الحكيمات فأخذن زيتًا في آنية مع مصابيحهنّ. وأبطأ العريس فنعسن جميعهنّ، ورقدن. وفي منتصف الليل، صارت الصيحة: هوذا العريس، أخرجوا إلى لقائه. حينئذ قامت أولئك العذارى كلّهنّ، وزيّنّ مصابيحهنّ. فقالت الجاهلات للحكيمات: أعطيننا من زيتكنّ، لأنّ مصابيحنا تنطفئ. فأجابت الحكيمات وقلن: قد لا يكفينا ويكفيكنّ. إذهبن بالحريّ إلى الباعة وابتعن لكنّ. ولمّا ذهبنّ ليبتعنّ، جاء العريس، ودخلت المستعدات إلى العرس، وأغلق الباب. وأخيرًا جاءت العذارى الباقيات وقلن: يا ربُّ، يا ربُّ، إفتح لنا، فأجاب وقال: ألحقّ أقول لكنّ، إنّي لا أعرفكنّ. إسهروا إذًا، لأنّكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة».

***

في المسيرة نحو ملكوت الله، نحو النهايات التي نتأمّلها في زمن الصليب، يكشف الربّ يسوع أنّ الحياة دعوة إلى عرس الخلاص، ينبغي الاستعداد له، وأنّ هذه الدعوة تعاش في الالتزام بموجبات الحالة الشخصيّة. هذا يقتضي منّا أن نوجّه عقلنا وقلبنا إلى المسيح وصليبه الذي هو علامة محبّة

الله ورحمته. فقد تجلّت محبّة الله ورحمته في التاريخ واتخذت شكلاً وإسمًا هو يسوع المسيح (البابا يوحنّا بولس الثاني: فادي الانسان، ٩).

■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

١. الحياة دعوة إلى عرس الخلاص

المثل الانجيليّ يأخذ صورة العرس ليكشف أنّ الحياة كلّها دعوة إلى عرس الخلاص. يدخل قاعة العرس العذارى الحكيمات، النفوس أو الأشخاص الذين استعدّوا وسهروا على موجبات حالتهم الشخصيّة. ويُطرح خارج قاعة العرس الخلاصيّ العذارى الجاهلات، الأشخاص الذين لم يستعدّوا وأهملوا موجبات حالتهم.

العريس الآتي هو يسوع المسيح. لقد **دخل عالم البشر بتجسّده** منذ ألفي سنة، مهيّئًا لجميع الناس عرس الخلاص وداعيًا إليه وتاركًا له الوسائل اللازمة: نور الانجيل ونعمة الأسرار ومحبّة الكنيسة. **وهو في دخول دائم** إلى حياة كلّ إنسان لخلاصه بفيض من محبّة الآب وبقوّة الروح القدس وحلوله. هذا ما عناه بولس الرسول بقوله: "المسيح هوهو أمس واليوم وإلى الأبد" (عبرانيين ١٣/٨). **وسيدخل بالبشريّة إلى قاعة الخلاص الأبديّ**، الأرض الجديدة والسماء الجديدة (رؤيا ٢١/١)، في نهاية الأزمنة.

قال الربّ يسوع عن نفسه: "أنا البداية والنهاية، الألف والياء" (رؤيا ٢١/٦)، للدلالة على هذا الدخول المثلّث في عالم البشر: **الدخول التاريخيّ** بالتجسّد والفداء، **والدخول السريّ** بمنح ثمار هذا التجسّد والفداء لكلّ مستعدّ، **والدخول النهيويّ** بمجيئه الثاني بالمجد ديّانًا، مثيبًا بالخلاص أو معاقبًا بالهلاك إلى الأبد. إنّها محطّات ملكوت الله، أي لقاء الله بالانسان والدخول إلى قاعة عرس الخلاص. بتجسّد الكلمة الإلهيّ **بدأ**

ملكوت الله كزرع، فكانت الكنيسة جماعة اللقاء بالله الثالوث، تجمعها "محبّة الآب ونعمة الابن وشركة الروح القدس" (٢ كور ١٣/١٣؛ نافور القدّاس الماروني)؛ **ويتحقّق هذا الملكوت** في حياة كلّ إنسان بقبول حقيقة الانجيل والسير في هدي نوره، وبالولادة الجديدة بواسطة نعمة الأسرار للحياة الإلهيّة والسير في موكب العرس برعاية الكنيسة؛ **ويكتمل الملكوت** بإنتهاء التاريخ عندما يعود المسيح فادي الانسان فيسلّم الملك كلّه لله الآب، في نهاية الأزمنة، بقيامة الموتى والدينونة العامّة. هذه هي صورة العرس في المثل الانجيليّ.

٢. مفاهيم مثَل العرس

يُقسم الحدث إلى اثنين: **الأوّل** حالة انتظار مجيء الربّ في حياتنا، **الثاني**، مجيئه والنتائج، ثمّ العبرة بالسهر والانتظار.

العريس هو المسيح. **العذارى** هم جميع الناس، على مدى أجيال التاريخ، المدعوّين إلى وليمة عرس الخلاص. **الحكيمات** هم الذين لبّوا الدعوة واستمرّوا أمناء لها بسهرهم عليها، واستعدّوا لها متمّمين أعمال حالة حياتهم الخاصّة. **الجاهلات** هم الذين لبّوا الدعوة لكنّهم لم يكونوا أمناء، فأهملوها، ولم يستعدّوا لها بالالتزام بموجبات حالتهم الشخصيّة. **المصابيح** هي **العقل** لمعرفة حقيقة الخلاص الموحاة بالمسيح، والإرادة للالتزام بعيش هذه الحقيقة الخلاصيّة ومقتضياتها، **والقلب** لمحبّة الله والناس وهي ملء الخلاص. **الزيت** هو **الفضائل الإلهيّة**: الايمان للعقل، والرجاء للإرادة، والمحبّة للقلب، **ومواهب الروح القدس السبع** التي تشدّد العقل والايمان بالحكمة والمعرفة والعلم، وتشدّد الإرادة والرجاء بالمشورة والقوّة، وتشدّد القلب والمحبّة بالتقوى ومخافة الله (أشعيا ١١/٢). **إبطاء العريس** هو جهل

موعد قدومه في حياتنا اليوميّة، عند ساعة موتنا، وفي نهاية العالم. **النعاس والرقاد** هو التعب والرتابة ومصاعب الحياة وصمت الله وحالة النفق.

انتصاف الليل والصيحة هما لحظة مجيء الربّ الحاسمة: "صارت الصيحة: هوذا العريس آتٍ". إنّها لحظة النداء الإلهيّ التي يتمّ فيها موعد قدومه. إنّها صيحة نداء الانجيل وإلهامات الروح القدس وتعليم الكنيسة والتربية العائليّة وصوت الضمير وحاجات المجتمع وأحداث الحياة اليوميّة. **تهيئة المصابيح** هي الاستعداد الدائم والجاهز للقاء الربّ الآتي، من خلال الالتزام بواجبات الحالة الشخصيّة. لا أحد يحلّ محلّ أحد، فالالتزام عمل شخصيّ؛ هذا معنى رفض الحكيمات إعطاء الجاهلات من زيتهنّ: "ربّما لا يكفينا ويكفيكن". **ذهاب الجاهلات** لابتياع الزيت **وعودتهنّ بعد وصول** العريس **وإقفال باب** قاعة العرس، يعني أنّ الزمن السابق لمجيء المسيح الربّ حاسم ولا يعوض. ما يمكن فعله قبل مجيئه لا يمكن فعله من بعده. هذا هو معنى التاريخ، والتاريخ اليوميّ من حياتنا وحياة البشر: "إسهروا لأنّكم لا تعلمون ذلك اليوم ولا تلك الساعة" (متّى ٢٥/١٣). **دخول المستعدّات** إلى قاعة العرس هو البلوغ إلى الخلاص في هذه الدنيا وفي الآخرة.

أمام هذه اللوحة الانجيليّة لا بدّ من فحص ضمير وجدانيّ وشخصيّ لإعادة قراءة مسيرة حياتي الشخصيّة، ولتحديد الالتزام بواجبات حالتي، وبما تقتضيه مسؤوليّتي في العائلة والكنيسة والمجتمع.

■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

نتناول موضوع **"دولة الرفاهيّة"** (Welfare State) أو **"الدولة-العناية"** (Etat Providence) المأخوذ من **"معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها**

حول **الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة**"، من ناحية مسؤوليّة الدولة تجاه حفظ التوازن بين السكّان المساهمين في الإنتاج الوطنيّ وأولئك المستفيدين من تقدمات الدولة.

يُطرح الموضوع في البلدان المتطوّرة من **ناحية نسبة الإنجاب**، التي هي في انحدار دائم، ما يجعل واقع السكّان فيها مؤلّفًا من كثرة المسنّين البالغين من العمر ما يفوق الخامسة والستّين- وهم المستفيدون من تقدمات الدولة، وقلّة المنتجين البالغين من العمر ما دون الرابعة والستين، وهم المنتجون.

لا تستطيع **دولة-العناية** أن تهمل هذا التغيير في طبيعة السكّان. وفيما تعنى بحفظ أنواع النبات والحيوان من الانقراض بشتّى الوسائل، كيف تهمل حفظ الجنس البشريّ بمواجهة مشكلة عدم الإنجاب أو قلّته؟ ينبغي أن تتضافر جهود الدولة والكنيسة في سبيل الإنجاب والعيش الكريم. **من واجب الدولة** وضع سياسة اجتماعيّة وعائليّة تمكّن الأزواج من تحمل مسؤوليّة الإنجاب، **ومن واجب الكنيسة** تثقيف ضمائر المتزوّجين على أخلاقيّات مسؤوليّة الأبوّة والأمومة (الدستور الراعويّ: الكنيسة في عالم اليوم، ٨٧).

لا يجوز أن يصبح **الإنجاب معضلة** تقف حيالها الدولة من دون مبادرات. لا يجوز أن تطغى الروح الفرديّة والنفعيّة والاستهلاكيّة على قيمة الحياة البشريّة. ولا يجوز أن تقاس الحياة البشريّة من ناحية العيش برفاهيّة، على حساب اعتبارها هبة بحاجة إلى إنماء وفقًا لدعوتها الشخصيّة الخاصّة.

ولا يجوز أن يُعتبر **إنجاب ولد مشكلة اجتماعيّة وعبئًا اقتصاديًّا وتربويًّا**، بل يجب اعتبار كلّ ولد يولد ثروة رجاء لحفظ عنصر الشباب في المجتمع، وهبة ثمينة للعائلة.

خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني، في رسالته العامّة "**السنة المئة**"

(أوّل أيّار ١٩٩١) يدعو إلى حماية "البيئة البشريّة" (الايكولوجيّة البشريّة) التي هي العائلة المبنية على الزواج والإنجاب. ففي العائلة يتلقّى الانسان أوّل المبادئ الأساسيّة المتّصلة بالحقّ والخير، ويتعلّم معنى الحبّ، حبّه للآخرين وحبّ الآخرين له، وبالتالي كيف يكون الانسان في الواقع إنساناً. إنّ تبادل العطاء بين الرجل والمرأة، في الزواج والعائلة، يخلق محيط حياة يستطيع الولد أن يولد فيه، ويُنمي طاقاته، ويعي كرامته، ويتأهّب لمواجهة ما يتعارض ومصيره فريد (عدد ٣٩).

٣. يطرح الموضوع عندنا في لبنان من ناحيتين:

الأولى، مشكلة الكثرة من المستفيدين من تقدمات الدولة الذين لا يؤدّون واجب الضرائب والرسوم لتغطية النفقات العامّة، والقلّة من المساهمين في الرسوم والضرائب، ما يجعل "دولة-العناية" عاجزة عن تقديم الخدمات العامّة كالكهرباء والماء وسواها. **الثانية**، مشكلة الهجرة، بسبب عدم توفّر فرص العمل والأمن والاستقرار السياسيّ والاجتماعيّ، التي تحرم العائلة من قواها الحيّة والفتيّة، وتترك في البلاد عائلات متقدّمة في السنّ مع ما ينتج عن هذا الواقع من أوضاع نفسيّة واجتماعيّة مؤلمة.

لا يستطيع المسؤولون السياسيّون التمادي في خلق الأزمات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وفي تعطيل دور الدولة وقدراتها، وهذا ما يتسبّب بالمشكلتين المذكورتين. فينبغي أن يدرك الشعب حقوقه ويطالب بها، وواجباته ويلتزم بأدائها.

■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين:

الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة، وتحديدًا الفصل الثالث: **تطلّعات مستقبليّة واقتراحات**.

١. **ينطلق الإصلاح الاقتصاديّ والاجتماعيّ** من إدانةِ الممارسات الماليّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة التي أدّت إلى تفشّي الفساد وسوء الأخلاق وحصر الثروات بشكل هائل في أيدي عدد محدود من المواطنين. كما ينطلق من العودة إلى المبادئ والقيم الأخلاقيّة في الحياة الاقتصاديّة التي توجّهها إلى غاية الغايات، إلى الله الذي هو لنفسه ولنا الخير الأسمى الذي لا ينضب. وواقعيًّا **يرتكز الإصلاح** على تحقيق اللامركزيّة الإداريّة، والتنمية المتوازنة بين كلّ المناطق اللبنانيّة، والتعاضد الاجتماعيّ من أجل بناء وطن المستقبل (الفقرات ٣٦-٤٠).

٢. **ويبدأ الإصلاح من تعديل النظام الضريبيّ** في لبنان ليكون عادلاً وفاعلاً. فيوجّب على الفئات الميسورة دفع ما يتوجّب عليها من ضريبة مباشرة على المداخيل، ويحدّ من تهرّبها من هذا الواجب، ومن هيمنة مصالح ذوي الأرصدة الماليّة الكبيرة أو الممتلكات العقاريّة على النظام الاقتصاديّ، ممّا يعرقل النموّ الاقتصاديّ وخلق فرص العمل. ويخفّف هذا التعديل من الأعباء الضريبيّة عن عاتق الفئات المحدّدة الدخل، وهي أعباء ترتكز على الضرائب غير المباشرة (الفقرات ٤١-٤٢).

٣. **ويرتكز الإصلاح على تصويب السياسة النقديّة** ومواجهة **قضيّة الدين العامّ**؛ ذلك أنّ نهضة لبنان الاجتماعيّة والاقتصاديّة مرتبطة بإيجاد الحلول لقضيّتي السياسة النقديّة والدين العامّ، وبتغيير المسلك الاقتصاديّ والماليّ والنقديّ الذي أصاب المجتمع اللبنانيّ بأضرار جسيمة (الفقرة ٤٣).

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، أنت الذي تأتي كلّ يوم في حياة كلّ إنسان لخيره وخلاصه وسعادته، ألهمنا بأنوار روحك القدّوس لنكون ساهرين ومتأهّبين لوعي مجيئك عبر أحداث حياتنا اليوميّة، ومن خلال قراءة علامات الأزمنة. ساعدنا لنحافظ على العائلة وقيمة الحياة البشريّة ونضارة المجتمع. نوّر المسؤولين عن الشأن العامّ لكي يجروا الإصلاح الاجتماعيّ والاقتصاديّ اللازم على أساس الشريعة الأخلاقيّة ومبادئ العدالة والتضامن الاجتماعيّ. أنت الذي يجب لك ولأبيك وروحك القدّوس كلّ الشكر والإكرام الآن وإلى الأبد. آمين.

الأحـد السادس من زمن الصليب

مؤتمنون على مواهب وعطايا للخير العامّ

من إنجيل القدّيس متّى ٢٥/ ١٤-٣١

قال الربّ يسوع: «يشبه ملكوت السماوات رجلاً أراد السفر، فدعا عبيده، وسلّمهم أمواله. فأعطى واحدًا خمس وزنات، وآخر وزنتين، وآخر وزنة واحدة، كلاً على قدر طاقته، وسافر. وفي الحال مضى الذي أخذ الوزنات الخمس، وتاجر بها فربح خمس وزنات أخرى. وكذلك الذي أخذ الوزنتين ربح وزنتين أخريين. أمّا الذي أخذ الوزنة الواحدة فمضى وحفر في الأرض، وأخفى فضّة سيّده. وبعد زمان طويل، عاد سيّد أولئك العبيد، وحاسبهم. ودنا الذي أخذ الوزنات الخمس، فقدّم خمس وزنات أخرى قائلاً: يا سيّد، سلّمتني خمس وزنات، وهذه خمس وزنات أخرى قد ربحتها! قال له سيّده: يا لك عبدًا صالحًا وأمينًا! كنت أمينًا على القليل، سأقيمك على الكثير: أدخل إلى فرح سيّدك! ودنا الذي أخذ الوزنتين فقال: يا سيّد، سلّمتني وزنتين، وهاتان وزنتان أخريان قد ربحتهما. قال له سيّده: يا لك عبدًا صالحًا وأمينًا! كنت أمينًا على القليل، سأقيمك على الكثير: أدخل إلى فرح سيّدك! ثمّ دنا الذي أخذ الوزنة الواحدة وقال: يا سيّد، عرفتك رجلاً قاسيًا، تحصد من حيث لم تزرع، وتجمع من حيث لم تبذر. فخفت وذهبت وأخفيت وزنتك في الأرض، فها هو مالك! فأجاب سيّده وقال له: يا عبدًا شرّيرًا كسلان، عرفت أنّي أحصد من حيث لم أزرع، وأجمع من حيث لم أبذر، فكان عليك أن تضع فضّتي على طاولة الصيارفة، حتّى إذا عدت أسترجع ما لي مع فائدته. فخذوا منه الوزنة وأعطوها لمن له الوزنات العشر. فكلّ من له يعطى ويزاد، ومن ليس له

يؤخذ منه حتّى ما هو له. وهذا العبد الذي لا نفع منه أخرجوه والقوه في الظلمة البرّانيّة. هناك يكون البكاء وصريف الأسنان».

***

لاهوت الانتظار، الذي يشكّل زمن الصليب، يشمل محاسبة الله لكلّ واحد منّا عمّا وضع بين يديه من مواهب وإمكانات معروفة "بالوزنات"، فأعطى واحدًا خمسًا، وآخر اثنتين، وآخر واحدة، لكي يثمّرها في خدمة الجماعة، ذلك أنّ كلّ واحد منّا بحاجة إلى غيره. هذه المحاسبة يجريها الله معنا، في حياتنا اليوميّة، من خلال فحص الضمير، وفي محطّات أخرى مثل الرياضات الروحيّة السنويّة. وسيجريها عند موتنا، ساعة نحضر أمامه لتأدية الحساب، فننال إمّا **الثواب**: "يا لك عبدًا صالحًا وأمينًا. وجدت أمينًا على القليل، فأقيمك أمينًا على الكثير. أدخل فرح سيّدك" (متّى ٢٥/٢١ و٢٣)، وإمّا **العقاب**: "العبد البطّال أخرجوه إلى الظلمة البرّانيّة. هناك البكاء وصريف الأسنان" (متّى ٢٥/٣٠). في ضوء لاهوت الانتظار، الموت موعد اللقاء مع الله لتأدية الحساب الأخير، وعلى أساسه يكون إمّا الخلاص الأبديّ وإمّا الهلاك. ولهذا قيل: "الموت هو المستقبل بامتياز" (Martin Heidegger).

■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

١. المواهب المتنوّعة

المجتمع البشريّ جماعة أشخاص مرتبطين عضويًّا بمبدأ وحدة تفوق كلّ واحد منهم، على أساس من الشركة والتقاسم. نعني **بالشركة** العلاقة الشخصيّة، الانسانيّة والروحيّة والاجتماعيّة، التي تحاك كلّ يوم بين أعضاء المجتمع الواحد. ونعني **بالتقاسم** تبادل خيرات الأرض الروحيّة والماديّة والثقافيّة. لا أحد يعيش لنفسه، ولا أحد يحتفظ بما يملك لنفسه. بسبب

الشركة والتقاسم، يقام كلّ إنسان وريثًا، يقبل من الله **مواهب أو وزنات** تغني هويّته، وتوجّب عليه تثميرها وإنماءها، وتوظيفها في خدمة الغير والجماعة (الكنسية في عالم اليوم، ٢٥؛ التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٨٨٠).

الكنيسة أيضًا جماعة منظّمة عضويًّا وتراتبيًّا، مثل الجسد البشريّ. فإنّها **جسد المسيح السرّي**، على ما يقول بولس الرسول: "أنتم جسد المسيح وأعضاؤه، كلّ واحد في مكانه. إنّ الله وضع في كنيسته الرسل أوّلاً، وبعدهم الأنبياء، وبعدهم المعلّمين، وبعدهم صانعي المعجزات، وبعدهم مواهب الشفاء والمعاونين والمدبّرين وأنواع الألسنة" (١ كور ١٢/٢٧-٢٨). ويتكلّم عن **تنوّع المواهب** التي يوزّعها الروح القدس: "أنواع المواهب والخدمات موجودة، غير أنّ الروح واحد والربّ واحد. فكلّ واحد يعطى من الروح ما ينفعه: واحد يعطى كلام الحكمة، وآخر النبوءة، وآخر تمييز الأرواح، وآخر أنواع الألسنة، وآخر ترجمة الألسنة، هذه جميعها إنّما يفعلها الروح الواحد، ويقسّمها على كلّ أحد كما يشاء" (١ كور ١٢/٤-١١).

من الواضح أنّ **لكلّ واحد كرامته ودوره ومكانه** في المجتمع البشريّ وفي الجماعة الكنسيّة، من خلال موهبته، أخمس وزنات كانت أم اثنتين أم واحدة. وهكذا يصبح كلّ واحد منّا، ليس فقط نافعًا، بل وحيدًا وضروريًّا. من هذا المنطلق يزول التزاحم والحسد، ويسقط مبدأ "قم لأجلس مكانك". فالحسد والتزاحم يهدمان الجماعات، ويسبّبهما جهل الموهبة الخاصّة وعدم الايمان بها كفاية. الجماعة البشريّة، زمنيّة كانت أم روحيّة، تبنى وتنمو على المواهب المنظّمة والمميّزة من السلطة المسؤولة. من أوّل واجبات السلطة أن تميّز المواهب وتحكم في أصالتها، وتفسح في المجال لتثميرها لخير الجماعة، وفق إرادة الله، الذي وزّعها حسب أصحابها، ويحاسب السلطة عليها (الدستور العقائديّ في الكنيسة ١٢).

المواهب هبة من الله، وهي متنوّعة: منها العاديّة ومنها الخارقة العادة، ومنها الطبيعيّة والفائقة الطبيعة، ومنها الجسديّة والخلقيّة والروحيّة. **لا تعطى** المواهب من أجل التباهي أو التسلّط أو لإحراز مكانة اجتماعيّة، بل من أجل الكرامة الشخصيّة وخدمة الجماعة. ويقال لها carisma (كاريسما) مثل فنّ الشعر والخطابة والتمثيل والرسم والكتابة والإدارة والنحت وما شابهها. نذكر "كاريسما" البابا يوحنّا بولس الثاني في التواصل مع الشعوب بمختلف لغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، و"كاريسما" الطوباويّة الأمّ تريزا في محبّة فقراء العالم، و"كاريسما" المكرّم الأب يعقوب حدّاد الكبّوشي في محبّة المعاقين والمتألّمين، إكليروسًا وعلمانيّين من جميع الأديان والشعوب.

٢. المواهب والمجتمع البشريّ

بما أنّ الشخص البشريّ **ذو بعد اجتماعيّ** من طبعه، فإنّ الأسرة، على مختلف أصعدتها الدمويّة والوطنيّة والدوليّة، هي الأكثر تناسبًا مع الطبيعة البشريّة في هذا البُعد. ولهذا، المجتمعات البشريّة ضروريّة لكي يعيش الانسان بعده الاجتماعيّ، فيساهم الجميع من خلال مواهبهم وخدماتهم الخاصّة في السعي لبلوغ الأهداف المشتركة التي تتجاوز الإمكانات الفرديّة.

من هذا الواقع النابع من الطبيعة البشريّة، قامت **تجمّعات ورابطات وجمعيّات ومؤسّسات** ونقابات وأحزاب وأندية وما شابهها، ذات أهداف اقتصاديّة وثقافيّة واجتماعيّة وسياسيّة ورياضيّة ومهنيّة وترفيهيّة، محليًّا وإقليميًّا ودوليًّا. غايتها تعزيز مشاركة العدد الأكبر من الناس في الحياة الاجتماعيّة، وتنمية المواهب الشخصيّة، وتحقيقها بمبادرات ومسؤوليّات، وحماية الحقوق الخاصّة والعامّة (التعليم المسيحيّ، ١٨٨٢).

إنّ **السلطة السياسيّة** مؤتمنة على الخير العامّ، بحيث تمكّن المواطنين والعائلات والمجموعات من تحقيق ذواتهم تحقيقًا أكمل، وتوفّر مجمل أوضاع الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة والفنيّة التي تؤمّن الخير العامّ (الكنيسة في عالم اليوم، ٧٤). وعلى هذا الأساس، "مدعوّة هي **السلطة السياسيّة** للعمل بتجرّد بحثًا عن خير الجميع وخير كلّ مواطن، ولاسيّما من هم أكثر حاجة، لا عن المصلحة الخاصّة أو الفئويّة، فيما تحكم الدولة وتسنّ الشرائع وتدير الشؤون العامّة" (خطاب البابا يوحنّا بولس الثاني إلى المسؤولين عن الحكومات ورجال السياسة في ٤/١١/٢٠٠٠، فقرة ١ و٢).

من **مقتضيات** العمل السياسيّ، الكفيل بتأمين الخير العامّ ومشاركة المواطنين فيه، فضيلتان اجتماعيّتان هما **العدالة والتضامن**.

العدالة هي السعي إلى خلق أوضاع مساواة وتكافؤ فرص بين المواطنين، وليس فقط أن تعطي كلّ ذي حقّ حقّه. والعدالة تقتضي العمل على ألاّ يصبح الأغنياء أكثر غنى، والفقراء أكثر فقرًا، ولاسيّما في زمن العولمة.

والتضامن هو الشعور بأنّنا كلّنا مسؤولون عن كلّنا، والضمانة للانتصار على الأنانيّة، وللانفتاح على الخير العامّ، على مستوى الأشخاص والدول. (المرجع نفسه، فقرة ٢ و٣).

٣. المواهب والكنيسة

يشارك المسيحيّون في حياة الكنيسة ورسالتها، وفي مهمّة التعليم والتقديس والتدبير بحكم معموديّتهم التي تشركهم في رسالة المسيح النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة. هذه المشاركة **حقّ لهم** لا ينتزعه منهم أحد، **وواجب عليهم** لا يحقّ لهم التخلّي عنه (أنظر الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٣٤-٣٦؛ العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ١٤؛ رجاء جديد للبنان، ١١٣). إنّهم ينالون القوّة والنور،

في ممارسة حقّهم وواجبهم، من سرّ الميرون بحلول الروح القدس وما يوزّع عليهم من **مواهب** (١ كور ١٢/١-١٠ و٢٨-٣١). ويتفانون في البذل والعطاء بفضل القربان. إنّهم بذلك ينتمون إلى **الكنيسة- السرّ**: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان"، ويحيون في **الكنيسة - الشركة**: "من يثبت فيّ واثبت فيه يأتي بثمر كثير"، ويعملون في **الكنيسة- الرسالة**: "أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمار" (يوحنّا ١٥/١-١٦) (أنظر العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٨-٤٤).

يبقى على الكاهن في رعيّته والأسقف في أبرشيّته أن **يقرّا بهذا الحقّ وأن يشجّعا على ممارسة هذا الواجب**، وأن يعدّا العلمانيّين بالتثقيف والتوجيه للقيام بدورهم، وأن يسندا إليهم المهامّ الملائمة لمواهبهم وإمكانيتهم وكفاءاتهم (المرجع نفسه، ١٤). تشـكّـل **الرعيّة** النموذج الرائع للرسالة الجماعيّة، لأنّها تضمّ في الوحدة كلّ ما فيها من تنوّع العناصر البشريّة، وتدرجها في جامعيّة الكنيسة، بفضل مجالسها وهيكليّتها ولجانها وتجمّعات المؤمنين والمنظّمات الرسوليّة. تكون الرعيّة وفية لدعوتها ورسالتها، وتجسّد واقعيًّا كنيسة المسيح الجامعة، إذا كانت "**المكان**" الصالح لعيش شركة المؤمنين، و"**العلامة**" لهذه الشركة، و"**الأداة**" للدعوة إليها وتحقيقها (المرجع نفسه، ٢٧). هذا القول عن الرعيّة ينطبق على الأبرشيّة بشكل أولى.

ولا بدّ من الاهتمام اهتمامًا خاصًّا بدور **الشبيبة في الرعيّة والأبرشيّة**، بمساعدتهم في وعي مواهبهم وتنميّتها وممارستها. فالشباب، حسب تسميات خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني: "قوّة التجدّد في الكنيسة والمجتمع"، و"حرّاس الصباح"، و"أمل الكنيسة"، و"ثروة لبنان"، و"وعمرهم عمر اللقاء بالمسيح والكنيسة، وعمر البطولة في القرار".

إنجيل الوزنات دعوة إلى المحاسبة. نحن نحاسب ذواتنا بفحص الضمير اليوميّ. الجماعات الكنسيّة تحاسب نفسها ومسؤوليها في المجامع والرياضات الروحيّة. الشعب يحاسب نوّابه بالانتخابات، والبرلمان كسلطة

تشريعيّة يحاسب الحكومة ويسائلها لكونها السلطة الإجرائيّة، والرئيس يحاسب الجميع حول الأمانة للدستور والخير العامّ. والمسيح الفادي يحاسب جميع الناس والشعوب على نعم الخلق والفداء والتبرير.

■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

من "معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة"، نختار موضوعًا ملتبسًا هو "اختيار الشرّ الأصغر".

١. هو تعبير ملتبس لأنّه أوّلاً يخلط بين القيم والخيور الأخلاقيّة من جهة، والخيور الأخرى من جهة ثانية، من مثل الخيور الاقتصاديّة والصحّة والرفاهيّة والحياة. ولأنّه ثانيًا لا يميّز بشكل ملائم بين النتائج الحسنة والسيّئة الصادرة عن فعل ما، وبين جودة الخيار نفسه وفساده. ولأنّه ثالثًا يخلط بين ما هو "واجب" وبين ما هو فقط "أحسن"، ذلك أنّه يعتمد لفظة "من المفضّل".

يطبّق مبدأ أو برهان الشرّ الأصغر في مختلف الحقول: السياسة والقانون والأخلاق. يعتمد مثلاً في التشريعات البرلمانيّة لنزع صفة الجرم والعقوبة عن الإجهاض والموت الرحيم وتعاطي المخدّرات. في ضوء هذا المبدأ، يكون الإقرار بالإجهاض أو بالموت الرحيم أو بالمخدّرات أنّه شرّ على المستوى الأخلاقيّ، لكنّه يُسمح به ويشرّع "كشرّ أصغر"، بالنسبة إلى التشريع القائم المنويّ تعديله. وهكذا تُبرّر شريعة سيّئة لكنّها أحسن من سابقتها لكون هذه أكثر سوءًا، بغية الحدّ من النتائج السيّئة. لكن تطبيق مبدأ الشرّ الأصغر في هذه الحالات شرّ أدبيّ بحدّ ذاته، ولا يمكن القبول به. وهذا هو جوهر الالتباس.

٢. **إنّ لمبدأ الشرّ الأصغر** بعدين: بُعد شخصيّ مرتبط بالضمير، وبُعد اجتماعيّ مرتبط بالقرار الجماعيّ. في **البُعد الشخصيّ** يُطبّق المبدأ في

الأوضاع المتعلّقة بأحداث الضمير: يكون القرار سيّئًا لكنّه مباح إذا لم يكن مخالفًا لتعليم الكنيسة والنظام الطبيعيّ الأخلاقيّ. وفي البُعد الاجتماعيّ يُطبّق خيار الشرّ الأصغر من بين الشرور التي تطال المجتمع بشكل حتميّ، شرط ألاّ يكون القرار سيّئًا بحدّ ذاته، كما هو مثلاً قرار تشريع الإجهاض والموت الرحيم اللذين هما شرّان على المستوى الأخلاقيّ. يُسلَّم بالشرّ الأصغر الأدبيّ إذا لم ينتج عنه ضرر للغير أو للخير العامّ. مثلاً في حال وفاة شخص عزيز على نسيب له عجوز أو مريض ويسأل عنه، فيقال له إنّه مريض أو مسافر، لإخفاء حقيقة موته، يكون الكذب هنا شرًّا أصغر مباحًا. نقول في العاميّة كذبة بيضاء".

٣. "**مبدأ اختيار الشرّ الأصغر**" هو بحدّ ذاته تبرير واضح من حيث الألفاظ، أي: بوجه عدّة شرور حتميّة، يجب اختيار الأقلّ شرًّا. لكنّه تعبير ملتبس في تفسير ما هو شرّ وما هو أقلّ شرًّا، وفي استعمال المبدأ.

في معناه الواسع، مبدأ الشرّ الأصغر هو تفضيل أو سماح أو اختيار الشرّ الأصغر، بين عدّة شرور حتميّة، بغية تجنّب الأسوأ. في إطار هذا المفهوم، الشرّ الأصغر هو كذلك بالنسبة لنتائج قرار كان من الواجب اتّخاذه في وضع لا مناصّ منه.

أمّا في معناه الضيّق، مبدأ الشرّ الأصغر يعني ضرورة الحسم بين حلول كلّها سيّئة، ولا مجال لأيّ خيار آخر غير ما هو لصالح الحلّ الأقلّ سوءًا. هذا المفهوم يتعلّق بالقرار بحدّ ذاته، الذي يشكّل إشكاليّة، لأنّ أيّ قرار آخر سيكون سيّئًا.

إنّ تطبيق مبدأ الشرّ الأصغر، في أيّ من المعنيين الواسع أو الضيّق، له حدود خلقيّة مرتبطة "بمطلبات أخلاقيّة"، وبأفعال غير أخلاقيّة بحدّ ذاتها. نبّه بولس الرسول بأنّه "**لا يُصنع الشرّ للحصول على الخير**" (روم ٣/٨). ونبّه

أغسطينوس إلى أنّ "**خيار الشرّ هو أكبر الشرور قاطبة**" (في القرار الحرّ، الجزء١، الفصل ٦، العدد ١٤).

سنرى فيما بعد تعليم القدّيس توما الأكويني الذي توسّع في مبدأ الشرّ الأصغر في بعديه الشخصيّ والاجتماعيّ.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل ما جاء في النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين، وهو بعنوان: "**الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**"، حول المبادئ والقيم في الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي هي بمثابة توصيات، وقد رأينا ثلاثًا منها في الأحد الماضي. يضاف إلى هذه المبادئ- التوصيات ما يلي:

١. العمل على أن يصبح البقاء في الوطن حقًّا دستوريًّا مقدّسًا. ينبغي أن تعمل المؤسّسات التربويّة المهنيّة والجامعيّة والقطاع الخاصّ وأجهزة الدولة المختصّة، يدًا واحدة، لاستثمار قدراتها البشريّة الفتيّة والمتخصّصة، محليًّا، والحؤول دون شتات العائلات اللبنانيّة في أنحاء العالم، بالحدّ من الفساد، وتوفير فرص العمل الملائمة، وحفظ السيادة والحريّة السياسيّة دونما انتقاص (الفقرات ٤٤-٤٦).

٢. التعاون بين القدرات اللبنانيّة الخلاّقة والمنتجة وجاليات الانتشار التي تتوفّر لديها ثروة كبيرة، وذلك على أساس رؤية اجتماعيّة واقتصاديّة واضحة، والقضاء على الفساد الاقتصاديّ الذي يحول دون رغبة اللبنانيين المنتشرين في العودة إلى لبنان واستثمار أموالهم في بنائه وازدهاره (فقرة ٤٧).

٣. العمل على تحقيق نهضة إنتاجيّة شاملة في لبنان، تعتمد على مهارات أبنائه وقدراتهم الخلاّقة، أسوة بسواه من البلدان الصغيرة، فلا تكون

الهجرة حتميّة، بل تجد الأدمغة والكفاءات اللبنانيّة المجالات للعمل بقدراتها فيه وتحصيل أموال تفوق بكثير ما يحوّله المنتشرون إلى ذويهم في الوطن (الفقرات ٤٨-٥٠). هذه النهضة الإنتاجيّة الشاملة تقتضي إصلاحات نذكر منها:

أ- إقامة سياسة دعم شاملة للنشاطات الإنتاجيّة (فقرة ٥١).
ب- التعاون المتواصل بين المؤسّسات التربويّة والقطاع الخاصّ لجعل لبنان مركز تفوّق إنتاجيّ (فقرة ٤٢).
ج- تأمين الحماية للنشاطات الإنتاجيّة (فقرة ٥٣).
د- مكافحة الفساد في علاقة القطاع الخاصّ بالقطاع العامّ (فقرة ٥٤).
ه- تحقيق الإصلاح الإداريّ (فقرة ٥٥).
و- إصلاح المسار الاقتصاديّ اللبنانيّ المشوّه (فقرة ٥٦).

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، لقد وضعت وزنات متنوّعة بين أيدينا، مع مواهب الروح القدس، لكي نثمّرها في سبيل خدمة الانسان والمجتمع. ساعدنا لنحقّق ذواتنا من خلالها، ونمكّن غيرنا من تحقيق ذاته. أعطنا أن نحسن الخيارات في حياتنا الشخصيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، فنتجنّب خيار الشرّ أيًّا كان، كبيرًا أم صغيرًا. وإن كان لا بدّ من خيار فليكن خيار الشرّ الأصغر في نتائج أفعالنا الصالحة بحدّ ذاتها. وساعدنا ربٌّ للعمل على جمع شمل اللبنانيين، وعلى حفظ القوى الحيّة وطاقاتها وقدراتها في الوطن للنهوض به وبشعبه، ولأداء رسالته في البيئة المشرقيّة. لك ولأبيك وروحك القدّوس نرفع كلّ مجد وشكر الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحد السابع من زمن الصليب

إنجيل العدالة والرحمة

من إنجيل القدّيس متّى ٢٥/ ٣١-٤٦

قال الربّ يسوع: «متى جاء ابن الانسان في مجده، وجميع الملائكة معه، يجلس على عرش مجده. وتُجمع لديه جميع الأمم، فيميّز بعضهم من بعض، كما يُميّز الراعي الخراف من الجداء. ويُقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله. حينئذ يقول الملك للّذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المُعدّ لكم منذ إنشاء العالم؛ لأنّي جعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني، وكنت غريبًا فآويتموني، وعريانًا فكسوتموني، ومريضًا فزرتموني، ومحبوسًا فأتيتم إليّ. حينئذ يجيبه الأبرار قائلين: يا ربّ، متى رأيناك جائعًا فأطعمناك، أو عطشان فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريبًا فآويناك، أو عريانًا فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: ألحقّ أقول لكم: كلّ ما عملتموه لأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فلي عملتموه! ثمّ يقول للّذين عن شماله: إذهبوا عنيّ، يا ملاعين، إلى النار الأبديّة المعدّة لإبليس وجنوده؛ لأنّي جعت فما أطعمتموني، وعطشت فما سقيتموني، وكنت غريبًا فما آويتموني، وعريانًا فما كسوتموني، ومريضًا ومحبوسًا فما زرتموني! حينئذ يجيبه هؤلاء أيضًا قائلين: يا ربّ، متى رأيناك جائعًا أو عطشان أو غريبًا أو مريضًا أو محبوسًا وما خدمناك؟ حينئذ يجيبهم قائلاً: الحقّ أقول لكم: كلّ ما لم تعملوه لأحد هؤلاء الصغار، فلي لم تعملوه. ويذهب هؤلاء إلى العذاب الأبديّ، والأبرار إلى الحياة الأبديّة».

***

مع هذا الأحد نختم زمن النهايات، المعروف بزمن الصليب، وتنتهي معه السنة الطقسيّة، دورة الكنيسة التأمّليّة حول سرّ المسيح، مثل دوران الأرض حول الشمس. وتعيّد فيه الكنيسة للمسيح الملك. إنّه **إنجيل العدالة والرحمة** وفيه آخر فعل من التاريخ البشريّ هو **الدينونة العامّة**.

■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

١. الرحمة والعدالة

في الدينونة سندان بعدل عن الرحمة. أتى المسيح إلى العالم **راعيًا صالحًا**، معلنًا لنا **إنجيل الرحمة** بالخلق والفداء والتقديس. وسيأتي، في نهية الأزمنة، **ديّانًا عادلاً**، معلنًا للمسكونة **إنجيل العدالة**. إنّه بكلّ ذلك محور التاريخ البشريّ، ألفه وياؤه، بدايته ونهايته (رؤيا ٢٢/١٣). إنّ الكتب المقدّسة الستة والسبعين تتمحور كلّها حول المسيح، ونختصرها كالآتي:

"في **سفر التكوين** المسيح هو حمل ذبيحة ابراهيم. **في الخروج** هو الحمل الفصحيّ. **في الأحبار** هو كاهننا الأعظم. **في العدد** هو الغمامة في النهار وعامود النار في الليل. **في المزامير** هو الراعي. في **نشيد الأناشيد** هو العريس المتلألئ. **في نبوءة أشعيا** هو العبد المتألّم. **في إنجيل متّى** هو المسيح ابن الله الحيّ. **في إنجيل مرقس** هو فاعل المعجزات. **في إنجيل لوقا** هو ابن الانسان. **في إنجيل يوحنّا** هو الباب الذي به ندخل الحياة. **في رسالة بولس إلى الرومانيين** هو الذي يديننا. **في رسائل يوحنّا** هو الله المحبّة. **في رسالة يعقوب** هو النعمة الشافية. **في رسالة بطرس** هو رأس كهنوتنا. **في رؤيا يوحنّا** هو فرح الكنيسة وملك الملوك وسيّد السادة"
.(Raniero Cantalamessa, gettate le reti B,P 335,)

ليس المسيح محصورًا في صفحة صغيرة من التاريخ البشريّ، بل يملأه

كلّه: فهو حاضر في العهد القديم **منبئًا عنه**، وفي العهد الجديد **متجسّدًا**، وفي زمن الكنيسة **مبشّرًا به**. ولهذا يقسم تاريخ العالم إلى اثنين: قبل المسيح، وبعده.

يستنير كلّ التاريخ **بإنجيل الرحمة**، المسيح كلمة الرحمة الإلهيّة الذي تجسّد: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة كان الله. كلّ به كوّن، وبدونه لم يكوَّن شيء ممّا كوّن. به كانت الحياة، والحياة نور الناس. كان نور الحقّ الذي ينير كلّ إنسان آتٍ إلى العالم. الذين قبلوه أعطاهم أن يصيروا أبناء الله. والكلمة صار جسدًا وحلّ فينا، كابن وحيد مملوء نعمة وحقًّا" (يو ١/١-٤). هذا المسيح هو داخل التاريخ وفوق التاريخ، إنّه زمنيّ وأزليّ. إنّه الملك الذي "لا فناء لملكه" (النؤمن).

إنجيل الرحمة ملأ التاريخ بثلاثة أفعال إلهيّة: **الخلق** فعل الآب، **والفداء** فعل الابن، **والتقديس** فعل الروح القدس. الكلّ تمَّ بالابن الكلمة، الأزليّ غير المنظور الذي **أتى في ملء الأزمنة متجسّدًا**، هو يسوع الناصريّ الوديع والمتألّم "الذي أحبّنا وحرّرنا بدمه من خطايانا، وجعلنا مملكة كهنوتيّة لله أبيه" (رؤيا ١/٥-٦)؛ **ويأتي الآن**- اليوم في حياة كلّ إنسان- خفيًّا ومتواضعًا في علامات سرّ الخبز والخمر وسائر الأسرار؛ **وسيأتي بالمجد** على غمام السماء، جالسًا عن يمين عرش الآب، ملكًا وديّانًا للعالمين، **خاتمًا تاريخ البشر بإنجيل العدالة**، فيسلّم الملك كلّه لله الآب (أنظر دانيال ٧/١٣-١٤). ولهذا تهتف الكنيسة بشوق: "**تعال، أيّها الربّ يسوع!**" (رؤيا ٢٢/٢٠). هتاف تُختم به كلّ الكتب المقدّسة. في البدء خلق الله السموات والأرض **بكلمة رحمته** (تكوين ١/١)، وفي نهاية الأزمنة يدين الشعوب **بكلمة عدله** (متّى ٢٥/٣١)، وبين البداية والنهاية يأتي الربّ **بكلمة محبّته** (رؤيا ٢٢/٢٠).

إنجيل العدالة يوضح نهائيًا كلّ شيء ويضع حدًّا لكلّ ظلم، ويروي كلّ عطش إلى العدل والبرّ. هذا الانجيل يؤكّد أنّ التائق إلى العدالة هو الجائع والعطشان والغريب والعريان والمريض والمحبوس الذي يستصرخ العدالة؛ وهو كلّ من يطعمه ويسقيه ويأويه ويكسوه ويعوده ويزوره (متّى ٢٥/٣٥-٣٦) الذي يمارس العدالة بأفعال الرحمة. لهؤلاء الذين يعدّهم الربّ في إنجيل الرحمة: "طوبى للجياع والعطاش إلى العدل، فإنّهم سيشبعون" (متّى ٥/٦)، في إنجيل العدالة سيقول لهم: "هلمّوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم منذ إنشاء العالم"، "فيدخلون إلى الحياة الأبديّة" (متّى ٢٥/٣٤-٤٦).

ولكن لإنجيل العدالة **وجه الغضب**: "هو يوم الغضب ذلك اليوم" (الليتورجيّا اللاتينيّة). يظهر غضب الربّ، بعد طول رحمته مدى حياتهم، على الذين لم يعطوا الجائع خبزًا وحسب بل انتزعوا منهم الخبز؛ وعلى الذين ليس فقط لم يأووا الغريب، بل جعلوه غريبًا في أرضه؛ وعلى الذين ليس فقط لم يزوروا السجين بل جعلوه أسيرًا ومعتقلاً. لهؤلاء سيقول الديّان العادل: "اذهبوا عنّي يا ملاعين إلى نار الأبد المعدّ لإبليس وجنوده" (متّى ٢٥).

معظم الناس اليوم يخالفون وصايا الله من دون رادع، الواحدة تلو الأخرى. علمًا أنّ الربّ يسوع أكّد للشاب الذي سأله: "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة، أجابه إحفظ الوصايا: "لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد شهادة زور، أكرم أباك وأمّك، وأحبب قريبك كنفسك" (متّى ١٩/١٦-١٩).

فالوصايا هي المجالات حيث تمارس الرحمة بكلّ مفاهيمها وأبعادها، وهي الطريق المؤدّي إلى الخلاص. نخالفها بخفية مدّعين بأنّ الجميع

يعملون ويتصرّفون ويسلكون كذلك، بداعي الحريّة والتقدّم والثقافة وشريعة ضعف الطبيعة البشريّة. لكنّ الله لم يلغ أيًّا من وصاياه وكلمات الانجيل، بل أكّد: "السماء والأرض تزولان وحرف واحد من الناموس لا يزول" (متّى ٥/١٨). والبعض يدّعي أنّ الله صالح ورحوم وغفور؛ هذا صحيح. لكنّ الله عادل ويميّز تمامًا بين ما هو خير وما هو شرّ، فلا يساوم مع الخطيئة. فالثواب والعقاب على أعمال الانسان الحرّة هما ترجمة العدالة. مع الموت ينتهي زمن الرحمة ويبدأ زمن العدالة. هذا يؤكّده بولس الرسول:

"أرى أنّك تستخفّ بغنى رحمة الله وطول روحه عليك بإمهاله لك؟ ألا تعلم أنّ الله يلطف لك ليحملك على التوبة؟ ولكنّك بقساوة قلبك غير التائب، تدّخر الغضب ليوم الغضب، يوم ظهور الحكم العادل، الذي يجازي كلّ إنسان بحسب أعماله" (روم ٢/٤-٦). ويضيف في مكان آخر مؤكّدًا الهلاك للّذين لا يتوبون في زمن الرحمة: **"أما تعلمون أنّ الأثمة لا يرثون ملكوت الله. فلا تضلّوا: فإنّه لا الزناة ولا عبدة الأوثان ولا العاهرون ولا المفسدون ولا مضاجعو الذكور ولا الغاصبون ولا السارقون ولا السكّيرون ولا الشتّامون ولا الخاطفون، يرثون ملكوت الله"** (١ كور ٦/٩-١٠).

٢. إنجيل الدينونة، حضارة المحبّة

يكشف إنجيل اليوم أربع حقائق من حضارة المحبّة.

١. **من لا يحبّ يضع نفسه خارج الشركة مع الله**، خارج النور، في عمق الظلمة الخارجيّة، الهلاك الأبديّ. هكذا يشرح يوحنّا الرسول خطورة إنجيل الدينونة: "من لا يحبّ أخاه، هو في الموت مقيم" (١ يو ٣/١٤). لنا حياة واحدة فقط لنتعلّم أن نحبّ إخوتنا. الناس ينتظرون محبّتنا. كلّ يوم هو يوم الحبّ، ولن يعوّض.

٢. **إنجيل المسيح هو إنجيل المحبّة**. هذا هو الخبر السارّ الذي يزرع الفرح والطمأنينة والسلام في من هو جائع وعطشان وغريب وعريان وسجين ومريض حسيًّا وروحيًّا وثقافيًّا. يريد الربّ، بكلمات إنجيل اليوم، أن تتمّ أنجلة العالم بهذا الانجيل. "فحيث المحبّة هناك الله" من دون أن نراه: "متى رأيناك جائعًا وأطعمناك؟...-" "كلّ مرّة صنعتم ذلك مع إخوتي هؤلاء الصغار، فإليّ صنعتموه" (متّى ٢٥/٣٧-٣٩). وحيث المحبّة هناك العلامة لحضور الله: "بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي، إذا أحبّ بعضكم بعضًا" (يو ١٣/٣٥). كما "المحبّة تستر جمًّا من الخطايا" (١ بطرس ٤/٨)، هكذا المحبّة وحدها ترفع الانسان من معاناة الجوع والعطش والعري... وبسبب المحبّة يغفر الله خطايانا الكثيرة، مثلما أكّد يسوع لسمعان الفرّيسيّ: "إنّ خطايا هذه المرأة مغفورة لها لأنّها أحبّت كثيرًا" (لو ٧/٤٧).

٣. **هكذا أحبّ الله العالم حتّى تماهى بالمسيح مع صغار العالم**. هذا التماهي الحسيّ والمعنويّ عاشه المسيح مع "صغار" العالم، حتّى أصبحوا الطريق إلى الله: "كلّ مرّة صنعتم ذلك إلى أحد إخوتي هؤلاء الصغار، فإليّ صنعتموه، وكلّ مرّة لم تفعلوا ذلك إليهم، فإليّ لم تفعلوه". بهذا التماهي باركهم وقدّسهم: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم". في الواقع، **جاع يسوع إلى الخبز** وطلبه من التلاميذ: "أعندكم شيء يؤكل؟" (يو ٢١/٥) ؛ **وعطش إلى الماء** فطلبه من السامريّة: "أعطيني ماء لأشرب" (يو ٤/٧). لكنّه جاع أيضًا إلى الحقيقة وعطش إلى العدل والخلاص (يو ٨/٣١ وما يليها، ١٩/٢٨)؛ **ارتضى العري** حتّى اقتسام ثيابه (يو ١٩/٢٣-٢٤)، لكنّه عُرّي من كرامته يوم صلب بين مجرمين (لو ٢٣/٣٣)؛ **مرّ غريبًا** بين إخوته الذين لم يؤمنوا به ولم يعرفوه

(يو ١/٧؛ ٧/٥) وبين بني قومه الذين لم يقبلوه: "لا يُقبل نبيّ في مدينته" (متّى ٦/٤)؛ **اعتقل في بستان الزيتون** كمجرم وسيق إلى دار الولاية، ومَثَلَ متّهمًا أمام قيافا وهيرودس وبيلاطس. هم جالسون على عرش الحكم، وهو واقف مكموم اليدين بلباس قرمزيّ، متروكًا من الجميع ومنكرًا من بطرس؛ **تألّم ومات** كمريض تحتضنه أمّه ومحبّة يوحنّا "التلميذ الذي كان يسوع يحبّه"، لكنّه حمل أيضًا برص خطايانا (أشعيا ٥٣/٣-٥؛ ٢ كور ٥/٢١)، هذا الذي شهد له بولس الرسول: "لا يستحيي أن يدعوهم إخوة له" (عب ٢/١١).

٤. **الحياة خيار بين حضارتين: المحبّة والأنانيّة.** بين نعم ولا: **نعم** لقبول الآخر ومساعدته والسخاء في سبيله، **أو لا**، فأنانية وإهمال وعدم اكتراث. تنقسم البشريّة أمام عرش الله، كما ظهرت في إنجيل الدينونة، بين يمين ويسار، بين الذين انتموا إلى **حضارة المحبّة** فهم المختارون المباركون، وبين الذين انتموا إلى **حضارة الأنانيّة** فهم المنبوذون والملاعين. في مسيرة الدنيا ننعم بحريّة القرار والخيار على هدي إنجيل الرحمة والشفقة والغفران. أمّا في نهايتها فتنتهي هذه الحريّة أمام إنجيل العدالة والقرار الإلهيّ بالثواب أو العقاب.

■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

من **"معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة"**، ننهي موضوع: **مبدأ الشرّ الأصغر**، كما جاء في تعليم القدّيس توما الأكويني والكنيسة، في بعديه الشخصيّ والاجتماعيّ.

١ .المبدأ في بعده الشخصيّ

يعتبر القدّيس توما الأكويني أنّ "الشرّ الأصغر" خيار مفضّل بين شرور

آتية لا محالة. ويشير إلى أنّه لا يمكن اقتراف الشرّ الأدبيّ بسبب أنّ النتائج المرتقبة ستكون أقل سوءًا من النتائج الماديّة المؤلمة الحاصلة من التصرّف باستقامة. من كان ضحيّة الظلم ليس بظالم، كذلك من يسمح بالشرّ الأصغر ليس بسيّئ. ولهذا، تحمُّل الشرور هو أقلّ سوءًا من اقتراف الشرّ الأدبيّ. الكذب، مثلاً، والقتل لا يمكن تبريرهما بالشرّ الأصغر، لأنّ اقتراف الشرّ الأدبيّ أسوأ من تحمّل النتائج التي تحصل من التصرّف المخلص.

ويخلص القدّيس توما إلى القول إنّ اختيار الشرّ الأصغر ليس جائزًا إلاّ إذا انتفت إمكانيّة اختيار البديل، وإذا كانت الشرور، التي ستحصل، حتميّة ولا يمكن تجنّبها، عندئذ يُسمح باختيار الأصغر بين الشرور. ويعطي هذا المثل: الطبيب يختار الشرّ الأصغر للمريض، ولكن فقط إذا لم تتوفّر إمكانيّة شفائه. إذا كان الشفاء ممكنًا، عندئذٍ عليه اختياره، لا الشرّ الأصغر.

هذا الإقرار بسموّ القيم الأخلاقيّة على الخيرات الماديّة، وبالتالي على الشرور التي ترهق الانسان، يتعثّر بسرعة العطب والضعف البشريّان. ولهذا من السهل محاولة تبرير الشرّ الأدبيّ بعرضه كأنّه شرّ أصغر، هربًا من النتائج المؤلمة التي تتبع خيار التصرّف كإنسان خيّر. وهكذا، بسبب الضعف يوضع على ذات المستوى الشرّ الأدبيّ وسائر أنواع الشرور التي تفترض الحرمان من خيور إنسانيّة، فيما الخير الأدبيّ هو، في الواقع، أسمى من سواه. بهذا المعنى سرعة العطب والضعف البشريين يرميان إلى تشويش صوابيّة الحكم الأدبيّ.

٢. المبدأ في بعده الاجتماعيّ

من واجب السلطة السياسيّة وحقّها اتخاذ التدابير لصالح الخير العامّ وتحقيق مصير الانسان. ولكن على الحكّام أن يأخذوا بعين الاعتبار الطبيعة

البشريّة الأصيلة. ومن واجبهم، عند سنّ الشرائع، السهر على أن تكون الشريعة البشريّة مطابقة للعقل وللشريعة الطبيعيّة المكتوبة من الخالق في قلب جميع الناس. الشريعة التي لا تطابق العقل والمنطق لا تأتي من الشريعة الطبيعيّة. بل تكون شريعة ظالمة، ولها فقط مظهر الشريعة. إنّ الموافقة على شرائع ظالمة ليست شرًّا أصغر، بل هي ظلم، وشرّ أدبيّ.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تختم الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين: "**الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**"، وتحديدًا **الاقتراحات التي تلتزم بها الكنيسة والمسيحيّون من أجل تصحيح المسار الاقتصاديّ اللبنانيّ** (الفقرات ٥٧-٦٤).

١. ترتكز الاقتراحات على هذا المبدأ: أن تتخذ الكنيسة موقفًا واضحًا وحازمًا من الانحرافات وسوء الأخلاق في الحياة الاقتصاديّة؛ وأن يكون المسيحيّ قدوة في الأخلاقيّات الاقتصاديّة والماليّة، غير منجر إلى الصفقات والمضاربات والتبذير والفساد؛ وتثمّر ممتلكات الكنيسة وقدراتها لتأمين استمراريّة تأصّل المسيحيّين في أرض أجدادهم، بإيجاد فرص عمل في المدن والريف، وبتعزيز نهضة إنتاجيّة (الفقرتان ٥٧-٥٨).

أ- تفعيل المجالس الاقتصاديّة في الأبرشيّات، بغية استثمار ممتلكات الكنيسة على نحو يؤدّي إلى خلق فرص عمل، وتحسين الأوضاع المعيشيّة (فقرة ٦٠).

ب- تحديث أساليب إدارة أموال الكنيسة وتطويرها، باعتماد طرق وأساليب تقنيّة فعّالة لضمان مردود الممتلكات ورفع قيمته وترشيد

أوجه استعماله لمساعدة المسيحيين بالبقاء في الوطن وعدم بيع أراضيهم (فقرة ٦١).

ج- إنشاء مجلس للتنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة لرصد الإمكانات الماليّة والقدرات البشريّة في لبنان ولدى جاليات الانتشار، ووضع الخطط من أجل تأمين التعاضد والعيش الكريم ووقف نزيف الهجرة. يرسم النصّ المجمعيّ المبادئ التي يرتكز عليها هذا المجلس (فقرة ٦٢).

***

صلاة

أيّها الربّ يسوع، الملك السماويّ وفادي الانسان وناشر إنجيل العدالة والرحمة، أعضدنا بنعمتك وبأنوار روحك القدّوس لنشهد لهذا الانجيل في حياتنا الاجتماعيّة والوطنيّة. لتكن حضارة المحبّة الخميرة الفاعلة في ثقافتنا، فتأتي خياراتنا الشخصيّة والاجتماعيّة مطابقة للحقيقة والخير. ولتكن مبادئ إنجيل العدالة والرحمة الحافز للكنيسة وللمسيحيّين في استثمار ممتلكات الكنيسة وخيرات الأرض لعيش كريم ينعم به جميع الناس، ويرسّخهم في أرضهم ليشهدوا في قولهم ومسلكهم ومبادراتهم لهذا الانجيل، من أجل ترقّي الانسان والمجتمع. ولك أيّها الابن الوحيد ولأبيك المبارك ولروحك القدّوس كلّ مجد وإكرام الآن وإلى الأبد، آمين.

صدر في السلسلة

- المسيح نور ينجلي للأمم (زمن الميلاد ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- نور إنجيل مجد المسيح (زمن الغطاس والتذكارات ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- معرفة حقيقة المسيح تحرّر (زمن الصوم الكبير ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- الانجيل قوّة الله لحياة جميع من يؤمن به (زمن القيامة ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- الشهادة لإنجيل نعمة اللّه (زمن العنصرة ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- كلمة الحقّ في الإنجيل تنمو وتثمر (زمن العنصرة - تابع - ٢٠٠٥- ٢٠٠٦)
- الشّهادة لإنجيل نعمة اللّه (زمن الصليب ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- إعلان إنجيل السّلام (زمن الميلاد ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- ليملأ سلام المسيح قلوبكم (زمن الدّنح أو الغطاس ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- السلوك اللائق بإنجيل المسيح (زمن الصوم الكبير ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- الإنجيل بشارة أبديّة لسكّان الأرض (زمن القيامة ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- نادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها (زمن العنصرة ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- فتح أذهانهم ليفهموا الكتب (زمن العنصرة - تابع - ٢٠٠٦-٢٠٠٧)





ISBN 978-9953-457-17-8